مجلة الملحدين العرب

مجلة شهرية بجهود فردية تصدر في الثاني عشر من كل شهر

اليهودية والمحروسة 2
محمد شومان

تشوهات الإنسان العربي في عصر الحداثة
د. عبد العزيز القناعي

الأثر السلبي لمناهج التفكير الدينية في سياق المعرفة البشرية
راوند دلعو

الإلحاد والتطور
دانيئيل دنت

العدد الرابع والثمانون من مجلة الملحدين العرب - نوفمبر / تشرين ثاني لسنة 2019.

تهدف مجلّة الملحدين العرب إلى نشر وتوثيق أفكار الملحدين العرب المتنوعة وبحريّةٍ كاملة، وهي مجلّةٌ رقميةٌ غير ربحيّة، مبنيةٌ بجهودٍ طوعيةٍ لا تتبع أيَّ توجهٍ سياسي. المعلومات والمواضيع المنشورة في المجلّة تمثل آراء كاتبيها فقط، وهي مسؤوليّتهم من الناحية الأدبيّة ومن ناحية حقوق النشر وحفظ الملكيّة الفكريّة.

كلمة تحرير المجلة

وتمر الأيام؛ وها هو عامٌ جديدٌ يطل علينا بعد هرم سابقه، مبشرًا بآمالٍ جديدةٍ وأحلامٍ قيد التحقيق.

وكما عودناكم في مجلة الملحدين العرب ومجموعة شبكة ومنتدى الملحدين العرب على موقع التواصل الاجتماعي الفيس بوك وموقع قناة الملحدين بالعربي؛ أننا مازلنا نثابر ونعمل على تقديم صوت وأفكار الملحدين العرب في زمانٍ بات كل ما فيه يبدو أكثر أهميةً، ومكانٍ أقل ما يقال عنه أنه كارثيٌّ بالنسبة لأصحاب العقول الحرة.

إن ذلك لم يكن بالعمل السهل ولا الإنجاز الصغير إذا ما أُخذ بعين الاعتبار أن المجلة تدخل عامها الثامن وأنها غير ممولةٍ ولا مدعومةٍ أو مدارةٍ من أية جهةٍ أو منظمةٍ أو حزب. أو إن صح التعبير هي غير ممولةٍ بتاتًا، حيث أننا حرصنا على ألّا تدخل المادة والنقود ضمن مشروعنا، وأن يبقى تطوعيًا عفويًا حياديًا بالكامل بين أيدي المتحمسين وأصحاب الضمير الحي والذين يرفضون أن يبقى الحال على ما هو عليه حتى إشعارٍ آخر دون أن يفعلوا شيئًا.

مرّت على مشروعنا هذا الكثير من الأزمات والتقلبات، و تركنا بعض الأصدقاء تارةً برابط محبةٍ لا ينقطع وتارةً لخلافٍ ما نأسف عليه بكل تأكيد. ولكن مع الأيام كسبنا أيضًا أخوةً لم تلدهم أمهاتنا، وتعرفنا على أصدقاء جددٍ بل وانقلب بعض أعدائنا إلى حلفاء. وخلال كل هذه الأحداث تجلت لدي حكمةٌ أرغب في مشاركتها معكم:

إذا كنت دومًا تحرص على أن تفعل الصواب قدر الإمكان، مدركًا أن حكمك ليس كاملًا ولن يكون؛

وأن تترك في قلبك مساحةً أكبر لاستيعاب ما لا ترغب في استيعابه؛ وأن تبادر إلى معاملة الطرف الآخر بالخير بقدر ما تسمح به الظروف وعلى قدر استطاعتك، وأن تضع نصب عينيك الصورة الأكبر، وأن تلتزم بمبادئك التي انطلقت منها، وأن تراعي وتفكر في كيف سيُنظر إليك في المستقبل وكيف سيتذكرك القادمون.

مع مرور الوقت لا بد أن تترك أثرًا طيبًا حتى عند من يعادونك.
كما أنك بلا شكٍ وللأسف ستحمل في جعبتك بعض الخطايا والندم.

في هذه المناسبة؛ مناسبة مرور عامٍ جديدٍ على مجلة الملحدين العرب أوجه رسالةً إلى جميع القراء والأصدقاء والأخوة الذين تركونا، والرفاق الذين أشغلتهم الحياة وآخرون مِمن غيّبهم الموت. نعاهدكم على أن نبقى كما عهدتمونا؛ وألا نكلّ من حمل هذه الأمانة، وأننا سنعمل دومًا على إيصال الصوت ومناهضة الاستبداد ومد الأيدي للآخرين، لعلنا في يومٍ ما نسير يدًا بيد معًا نحو مستقبلٍ منير.

الغراب الحكيم

فريق التحرير
المشارك في هذا العدد

رئيس التحرير

الغراب الحكيم

أعضاء هيئة التحرير وبناء المجلة

John Silver

Gaia Athiest

أسامة البني (الوراق)

Alia'a Damascéne

غيث جابري

Abdu Alsafrani

Rama Saleh

Raghed Rustom

Johnny Adams

ليث رواندي

إيهاب فؤاد

Yonan Martotte

ARAB ATHEIST BROADCASTING
قناة الملحدين بالعربي

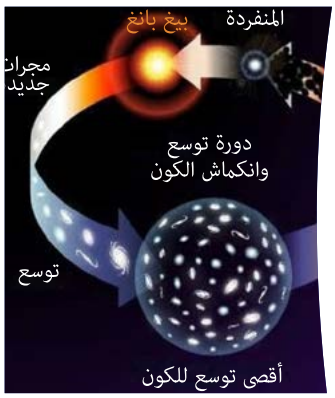

الفهرس

كلمة تحرير المجلة 2

الفهرس 3

تشوهات الإنسان العربي في عصر الحداثة 4
د. عبد العزيز القناعي

اليهودية والمحروسة جـ 2 8
محمد شومان

لوحة الغلاف: 26
سبع سنوات على إنشاء المجلة
بريشة وتقديم رغد عقيلي

الأثر السلبي لمناهج التفكير الدينية في سياق 30
المعرفة البشرية
راوند دلعو

قراءة في كتاب «فترة التكوين في سيرة الصادق 37
الأمين» لخليل عبد الكريم بقلم هيثم الأخرس

نقد كتاب اليهودية (التناخ) جـ 2: 43
الباب الأول: صورة الله في الكتاب
اليهودي - القسم الثاني
راهب العلم

الإلحاد والتطور 59
دانيئيل دنت

مذكرات ملاك هارب من الجنة (قصة قصيرة) 77
وليد

كاريكاتور 88

ملاحظة: عناوين المقالات هي روابط، انقروا عليها لتأخذكم مباشرةً إلى المقال

تشوهات الإنسان العربي في عصر الحداثة

د.عبد العزيز القناعي

يقول كريستوفر مورلي: «اقرأْ كل يومٍ شيئًا لا يقرأه أحدٌ غيرك. فكِّر كل يومٍ بشيءٍ لا يفكر فيه أحدٌ غيرك. إنه أمرٌ سيءٌ للعقل أن يكون دائمًا جزءًا من الإجماع».

تُشكِّل تعقيدات الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية، بالإضافة إلى تعقيدات الحياة التكنولوجية، عوامل مهمةً زادت من اغتراب الإنسان العربي عن الواقع وعن ذاته. وبنفس الوقت أصبح يعيش قلقًا داخل نفسه التي تتنازعها الأهواء والأفكار والمعتقدات، حتى بدا في لحظةٍ تاريخيةٍ كأنه يفقد الأمن النفسي والاجتماعي. فالأمن والأمان هما من الركائز المجتمعية الأساسية للنهوض بالمجتمعات الحديثة وتعزيز استقرارها، بعد مشاهداتٍ داميةٍ وتفاعلٍ متداخلٍ بين الدين والسياسة أدّى إلى تعطيل الذات العربية من تقديم التصور الصحيح لماهية الفرد ضمن عصر الحداثة. ويقول ستيوارت فرانسيس في ورقة عملٍ مقدمةٍ إلى برنامج التنمية الدولية واقتصاديات التنمية: «إن أمن الإنسان يشكل جزءًا مهمًا من حياة الناس ورفاهيتها، وبالتالي فهو هدف التنمية». فأين تكمن حلقات انعدام التنمية في الوطن العربي بعد أن أصبحت مجتمعاتنا عرضةً لمخاوف شتّى تنطلق من عوامل داخليةٍ وخارجيةٍ بآنٍ واحد؟ فحماية رفاه الفرد من واجبات الدول المتحضرة، والتأكيد على حرياته وكرامته من أسس الدولة الديمقراطية. ولكن ما نشاهده اليوم وما يتعايش معه الإنسان العربي من أحداثٍ سياسيةٍ واجتماعيةٍ ودينيةٍ لا يمكن وصفها إلا بأنها هادمةٌ ومدمرةٌ لإنسانية الإنسان وبشكلٍ خطيرٍ جدًا يحمل تداعياتٍ مأساويةً، وربما نحتاج كثيرًا من الوقت وأجيالًا أخرى لإزالة هذه الأثار والتشوهات التي تعصف بالإنسان وتعطل مسيرته.

إن الشخص الآمن نفسيًا يشعر بأن حاجاته مُشبَعةٌ وأن

المقومات الأساسية لحياته غير معرضةٍ للخطر، ويكون في حالة توازنٍ أو توافقٍ أمنيٍّ في المجتمع الذي يعيش فيه. وإن إحباط حاجات الأمن يكون سببًا في تطور كثيرٍ من الأعراض والاضطرابات الشخصية، مثل: العنف السلوكي، والعصاب القهري، والاعتقاد بالخرافات، والممارسات الطوطمية. فهل وصل المواطن العربي إلى تحقيق مثل تلك الحاجات النفسية التي تؤهله للقيام بواجباته الحياتية في المجتمع؟ الأدلة والواقع يظهران تناقضًا خطيرًا في هذا الجانب، فمن الناحية المادية، تطالعنا الصحف يوميًّا بأخبار السرقات والفساد والتعدّي على المال العام مما جعل فئاتٍ كثيرةً تستفيد من تراخي الحكومات في تحسين مستواهم المعيشي بطرقٍ غير مشروعة، مما أدى إلى انتشار ثقافة الرشى والتزوير والتلاعب بالقانون واحتكار المنافع السلطوية بيد النخب الفاسدة المدعومة من الأنظمة. فكل هذه المؤشرات تضعنا أمام تغيرٍ نفسيٍّ للذات العربية يتجه للأسوأ، فبخلاف الرواتب المدعومة حكوميًّا بزياداتٍ لا قيمة إنتاجية لها، ومجانية التعليم والصحة والإسكان في بعض الدول، إلا أن المواطن لا يزال يشعر بأن رغباته المادية بازديادٍ ويطالب، بقوةٍ محمومة، بزيادة الرواتب وتحسين الشروط الاقتصادية، رغم مشاركته في الفساد الحكومي.

لقد أصبح ارتباط المواطنين بالمجتمع أو الحكومة أو حتى الدولة مرهونًا بإشباع الدوافع والحاجات المادية التي تمكنهم من العيش فوق مستوى المعدل الطبيعي للإنفاق مقابل الإنتاج والعمل، وهو ما أدّى إلى أن يشعر المواطن العربي بفقدان الأمن النفسي بشكلٍ معكوس، لأن رغباته الذاتية غير محققةٍ حكوميًّا، وهو ما أدى تاليًا إلى تكوين لوبيات ضغطٍ شعبيةٍ للمطالبة بتحسين الأوضاع المعيشية دون تقديم أي بديلٍ استراتيجيٍّ وطنيٍّ يحمي البلد والأجيال القادمة. ومع أننا لا نغفل هنا عن التصاعد الدولي في ارتفاع الأسعار أو التغيرات العالمية في الطلب والعرض وعولمة الاقتصاد والسوق المفتوح، ولكن هذه كلها عوامل تتناقض أصلًا مع مفهوم الأمن النفسي وهو الحالة التي يكون فيها «إشباع الحاجات مضمونًا وغير معرّضٍ للخطر. فالأمن النفسي مركبٌ من اطمئنان الذات والثقة بها، مع الانتماء إلى جماعةٍ آمنة». وهذا التناقض هو لب الأزمات التي تفرعت تاليًا في مجتمعاتنا العربية وطغَت على التنمية وبناء المجتمع والدولة.

فماذا نعني بالأزمات التي تفرعت تاليًا؟ لقد نتج عن التناقض النفسي في إشباع الحاجات الأساسية، وهي بحسب تصنيف ماكس نيف (الوجود، والحماية، والمودة، والإدراك، والمشاركة، وأوقات الفراغ، والإبداع، والهوية، والحرية)، إلى نوعٍ ما من «الفرعنة» السلوكية التي أصبحت تُلامس كل مجالات المجتمع، السياسية والاجتماعية. ففي الجانب السياسي نجد أن المجتمع العربي في غالبيته أصبح متآلفًا وراضيًا مع مفهوم المال السياسي الفاسد في تغيير التوجهات السياسية في الترشيح والانتخاب للبرلمان، وفي استخدام المال لشراء الولاءات الاجتماعية كالدعم القبلي والطائفي، وفي جانبٍ آخر أصبح العزف والتلاعب على وتر المذهبية والقبلية تجارةً رائجةً وهدفًا لكل من يسعى إلى الوصول إلى مراكز السلطة وكرسي البرلمان، فلم يعد الأمن السياسي يعني للمواطنين التحرر من الخوف والحاجة، وضمان تأمين الحماية من تهديد القمع السياسي، والحماية من التعرض للصراعات والحروب والهجرة لجميع المواطنين في الوقت ذاته دون استثناءٍ أو تمييز، على اعتبارها حقًّا

من الحقوق المكتسبة للإنسان، مما يقود إلى الاستقرار التنظيمي للدول ونظم الحكومات والأيديولوجيات التي تستمد منها شرعيتها، بقدر ما أصبح يعني أن يكون لكل مواطنٍ أو مذهبٍ أو قبيلةٍ تيارٌ سياسيٌّ أو حزبٌ أو تجمُّعٌ يحقق تطلعاتهم ويجلب مصالحهم فوق مصالح الدولة والقانون.

إن الوضع السياسي العربي بشكلٍ عامٍّ لم يصل إلى هدم مقومات الأمن السياسي رغم تواجد العنف الحكومي والاعتقالات غير المبررة وتقلص هامش الحريات وغياب الديمقراطية الليبرالية. فالوضع السياسي العربي اليوم ما هو إلا إفرازٌ ونتيجةٌ حتميةٌ لتهتك الوضع الاجتماعي وضبابية الدولة في تحديد نمط سلوكها وتوجهها. فهل الدول العربية اليوم دولٌ مدنيةٌ أو دينيةٌ أو تطمح إلى العلمانية؟ كما وأن الواقع الذي يعيشه المواطن العربي هو تشوهٌ حَمَله الإنسان العربي في عصر الحداثة بعد فشله في الدخول إليها مما جعله يحمل معه إشكالياتٍ غير مفهومةٍ في تحديد مسار الحياة وفق رؤيةٍ علميةٍ ومعرفيةٍ تمكِّنه من استيعاب منجزات العصر الحديث. فالإنسان العربي اليوم لا يحمل فهمًا ولا فكرًا ولا تعريفًا ولا منهاجًا ولا هويةً، لا في نمط الحياة التي يعيشها ولا في كيفية تعامله مع محيطه الاجتماعي ولا في سلوكه ولا في تديُّنه ولا في أخلاقه ولا في أي اتجاهٍ من الاتجاهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولا في كيفية فهمه لمضمون التاريخ والوجود والحقيقة. وهذا لب الأزمة وعنوان التقدم بنفس الوقت إذا ما استطعنا تفكيك الذات وغربلة الموروث والخوض في اللامفكر عنه والمسكوت في التاريخ العربي والإسلامي حول قضايا الحكم والحريات والإنسان.

لقد ساعدت الشعوب العربية حكوماتها في إيصال الأوضاع إلى ما هي عليه من تراخٍ وفساد، فلم تتغير أو تتعلم تلك الشعوب من بعد الأزمات الطاحنة التي مرت عليها، ولم تتعلم معني المواطنة وحقوق الانسان إلا في أضيق الحالات، كما بقيتْ المذهبية والقبلية والعرقية والفئوية تسيطر على العقول والتعليم وكل مجالات التعامل في الحياة. ولقد أصبحت الذاتية والفردية والأنانية تطغى على العمل الجمعي وتعزز المصالح الشخصية فوق مصلحة الوطن. إن حقوق الانسان التي يتباكى عليها مدَّعو الحريات، ليست فقط في تأمين حرية الرأي والتعبير والاعتقاد، بل امتد تعريفها في العصر الحديث إلى مداراتٍ أوسع وحقوقٍ مثاليةٍ أكبر، فهل تؤمن الشعوب العربية بحقوق المثليين التي صدرت في مارس/آذار 2007 وفق «مبادئ يوغياكارتا بشأن تطبيق القانون الدولي لحقوق الإنسان بالعلاقة مع الميول الجنسية وهوية نوع الجنس»، قبل أن تطالب بالحرية بشكلٍ عشوائيٍّ ومزاجيٍّ أو مقيّدٍ بحسب الدين والعادات والتقاليد البالية في ساحات الربيع العربي؟ وهل تؤمن الشعوب العربية، وهل توافق أصلًا المؤسسات الدينية، بالحقوق الجنسية باختلاف تنوعها ومساراتها؟ إن الأمن والأمان اللذيْن تسعي إليهما الشعوب لا يمكن تجزئتهما ولا يمكن الأخذ بالبعض وترك الآخر، فإن لم نصل إلى هذه الدرجة من التعاطي مع القوانين والحريات وحقوق الانسان المختلفة، فلا يمكن أن نقيس أي أزمةٍ أو قضيةٍ إلا وفق قناعاتنا المسيّرة وفقًا للمذهب والقبيلة والدين، وهذا هو سبب تخلفنا وعجزنا عن التطور والتقدم.

المزدري

الثمن الذي دفعته لتركي الإسلام

وليد الحسيني

الكتاب وثيقة مهمة يروي فيها وليد الحسيني قصة المعاناة التي مر بها من جراء تركه للإسلام وجهره بذلك، بدءًا من تساؤلات نمر بها كلنا إلى نقده الساخر للدين، فسجنه وتعرضه للتعذيب وانتهاء بلجوئه إلى فرنسا حيث لا زال يعمل بدأب في مشروعه الفكري. ظهر كتابه «المزدري» بالفرنسية تحت عنوان Blasphémateur ومؤخرًا تمت ترجمته إلى الإنجليزية بعنوان Blasphemer، وهو مترجمٌ أيضًا إلى البولندية والدنماركية. النسخة الإنجليزية موجودة على متجر أمازون Amazon.com

اليهودية والمحروسة جـ 2

محمد شومان

نستكمل قصة اليهودية وعلاقتها بمصر في جزئها الثاني.
المقال مكتوبٌ على شكل أسفارٍ تحاكي هيكل التناخ، وقد نشرنا في العدد الماضي أول ثمانية أسفار، وفي هذا العدد ننشر الأسفار التاسع وحتى الرابع عشر:

السفر التاسع: أبرام الطاهر

السفر العاشر: لوط البار

السفر الحادي عشر: إسحاق حامل الراية

السفر الثاني عشر: النبي والخصي

السفر الثالث عشر: السنين العجاف

السفر الرابع عشر: العاهرة والمقدس

اليهودية والمحروسة جـ 2

محمد شومان

السفر التاسع: أبرام الطاهر

وكان رجلٌ اسمه أبرام يعيش حياةً هادئةً فى جنوب العراق مع زوجته العاقر «ساراي»، في بلدةٍ تدعى «أور الكلدانيين» جنوب بابل حيث كان يعبد إله القمر نانار، والعراق بلدٌ له إسهامٌ حضاري رائعٌ في المسيرة الفكرية البشرية – ملحوظة: كلمة عراقة مشتقة من العراق - فقد كانت فى البداية موطن السومريين أصحاب الحضارة العظيمة والذين اخترعوا لنا الكتابة المسمارية، وتركوا لنا أو لليهود بمعنى أدق أسطورةً متكاملةً للخلق تكاد تتطابق مع قصة الخلق التوراتية وكذا قصة الطوفان... إلخ، ثم خلفت الحضارة البابلية الحضارة السومرية وقدّمت للمجتمع البشري أفكارًا دينيةً تردد صداها بقوةٍ فى الديانة العبرانية.

إبراهيم يحطم أصنام أبيه

وكان أبرام هذا يعمل مع والده فى صناعة الأصنام، ويحدثنا التقليد اليهودي أنه لم يكن مقتنعًا بعمله هذا إذ كان ينادي على بضاعته قائلًا: من يشتري مني صنمًا لا يملك أن يفعل له شيئا؟ وبالطبع مثله مثل أي بائعٍ ساذجٍ كان يفشل فى بيع آلهته، وذات يومٍ يجيئ الإله يهوه إلى أبينا أبرام ويختاره من بين رجال العالمين ليصبح رسوله المفضل والأب لجميع الأنبياء من بعده، ويأمره بأن يحزم حقائبه ويرحل من أرض العراق إلى أرض كنعان، فيطيع أبونا المقدّس أمر الرب من غير جدالٍ ويرحل بزوجته وأبيه وابن أخيه لوطٍ وزوجته وعددٍ من الخدم، أما أرض كنعان وِجهة هذه الرحلة المباركة فقد كان اسمها يبوس موطن اليبوسيين وهم بطنٌ من كنعان بن حام بن نوح الملعون من أبيه كما رأينا منذ قليل، ثم سمّيت أو ساليم أو مقاطعة ساليم على اسم ملكها، ثم حُرّفت أو ساليم إلى أورشاليم أو مدينة السلام على يد اليهود، ثم أخيرًا إلى القدس، وكانت حينئذٍ تحت سيطرة الكنعانيين وهم قومٌ من شبه الجزيرة العربية هاجروا إلى فلسطين ربما سنة 2500 ق.م، وكان إيل هو كبير آلهتهم وهو اسمٌ ساميٌّ معناه إله وهو زوج الإلهة «أثرت» وهو اسم علمٍ في معظم الديانات السامية القديمة، وهو نفسه إلوهيم عند اليهود والله عند العرب، ونسبوا له العديد من الصفات «الملك»، «العزيز»، «العادل»، «الأمين» إلخ، وكان بعل من أبرز آلهتهم وهو اسمٌ بمعنى «سيد» وهو نفس معنى «أدوني» فى العبرية، وكان للكنعانيين أنبياؤهم ومتنبئوهم أيضًا وربما كان عندهم اعتقادٌ في الحياة الأخرى، وعن الكنعانيين أخذ اليهود اللغة العبرية التي هي أصلًا لغة الكنعانيين أو كما تعترف التوراة «شفة كنعان».

ولنا ملاحظةٌ هنا قد تكون خارجةً عن المألوف ولكننا لن نحيد عن الحق لأي سببٍ كان، وملاحظتنا هي أن هجرة إبراهيم إلى فلسطين كانت قبل قدوم الفلسطينيين إليها بمئات السنين، فالهجرة الإبراهيمية كانت على ما يبدو فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد، ثم إن استيطان العبريين هذه البلدة كان قبل استيطان الفلسطينيين بها، ملحوظةٌ أخيرةٌ ليست

اليهودية والمحروسة جـ 2

محمد شومان

خارج السياق هي أن الفلسطينيين قومٌ جاءوا من جزر كريت من اليونان على عهد رمسيس الثالث وحاولوا احتلال الدولة المصرية ولكنه طردهم ففروا إلى فلسطين، وليسوا من أصولٍ عربيةٍ كما يردد الأغبياء الآن...!

رحلة عائلة إبراهيم، بريشة كاستليونه

ويحدث جوعٌ فى أرض كنعان فيرحل منها الركب المقدّس إلى مصر، ومصر في المنظومة الدينية هي بلد الكفر والضلال والانحلال الخلقي...! ونحن لا ندري على وجه التحديد أي كفرٍ وأي ضلالٍ فى بلدٍ كان أول من آمن بالله الأحد وأول من خلق مفهوم الضمير وأول من آمن بالآخرة وأول من آمن بترتب الحساب الأخروي على الأعمال الدنيوية، فأي كفرٍ وأي ضلالٍ فى هذه المنظومة الفكرية التي سبقت الأديان؟ إلا إذا كان السبب هو حقد اليهود على المصريين ذلك الحقد الذي يضمره العبيد دائمًا لسادتهم، واليهود قضوا مئات السنين عبيدًا لنا.

أما المسلمون «ومنهم المصريون» فقد تأثروا بالفكر اليهودي بلا سندٍ من منطقٍ وتجاوبوا مع الكهنة الأوغاد في وجهة نظرهم المغرضة وتقربوا إلى الله بسب مصر وفراعنتها وكل ما يمت إليها بصلة، «أي أولاد نحن»..؟!

وفي الطريق إلى مصر يضع القديس أبرام خطةً لا نستطيع أن نقول عنها أنها فى غاية الشرف تقول التوراة- الكتاب المقدّس- عن إبراهيم النبي الرجل المقدّس رسول الله:

«وَحَدَثَ لَمَّا قَرُبَ أَنْ يَدْخُلَ مِصْرَ أَنَّهُ قَالَ لِسَارَايَ امْرَأَتِهِ: «إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ امْرَأَةٌ حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ. فَيَكُونُ إِذَا رَآكِ الْمِصْرِيُّونَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: هذِهِ امْرَأَتُهُ. فَيَقْتُلُونَنِي وَيَسْتَبْقُونَكِ. قُولِي إِنَّكِ أُخْتِي، لِيَكُونَ لِي خَيْرٌ بِسَبَبِكِ وَتَحْيَا نَفْسِي مِنْ أَجْلِكِ. فَحَدَثَ لَمَّا دَخَلَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ أَنَّ الْمِصْرِيِّينَ رَأَوْا الْمَرْأَةَ أَنَّهَا حَسَنَةٌ جِدًّا. وَرَآهَا رُؤَسَاءُ فِرْعَوْنَ وَمَدَحُوهَا لَدَى فِرْعَوْنَ، فَأُخِذَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ، فَصَنَعَ إِلَى أَبْرَامَ خَيْرًا بِسَبَبِهَا، وَصَارَ لَهُ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَعَبِيدٌ وَإِمَاءٌ وَأُتُنٌ وَجِمَالٌ». (التكوين 12: 11-16)...!!!!

هذا هو النص التوراتي المقدّس عن أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، ونحن طبعًا لن نترك هذا النص يمر بسلامٍ فلنحاول أن نقرأه معًا بتمعن:

النبي الطاهر أبرام يعلم أن زوجته الفاتنة ذات الخمسة والستين ربيعًا، أكرر ذات الخمسة والستين ربيعًا مطلوبةً لدى الرجال لجمالها فيعقد معها اتفاقًا بأن تدعي أنها أخته «حتى يُحسن إلي بسببك»، وهذه الجملة لا نجد لها

اليهودية والمحروسة جـ 2

محمد شومان

ترجمةً محترمةً، ولأننا لا نحب فاحش القول نتساءل بكل أدبٍ عن الصفة التي تطلق على الرجل الذى يتكسب من عرق زوجته، ونتساءل عن المقياس الخلقي الذي ينتهجه أبو الأنبياء الذي لا يتردد فى ترك زوجته للآخرين خوفًا على حياته، ونتساءل أيضًا بكل براءةٍ عن مشاعر المقدّس أبرام الذي ترك زوجته ليالي طويلةً أو حتى قصيرةً نائمةً على فراش فرعون...! ألم يكن الموت أفضل له وأطهر لنسله؟ ونتساءل أيضًا عن مشاعر الفاضلة ساراي وهي تستريح أخيرًا فى فراش فرعون مصر الوثير بعد سنوات العذاب فى صحراء الهجرات المتكررة مع زوجها الكهل المحترم.

ولكن الرب يتدخل لتدارك الموقف:

«فَضَرَبَ الرَّبُّ فِرْعَوْنَ وَبَيْتَهُ ضَرَبَاتٍ عَظِيمَةً بِسَبَبِ سَارَايَ امْرَأَةِ أَبْرَامَ». (التكوين 12: 17).

ولا ندري نحن بعقولنا القاصرة سبب غضب الرب على فرعون وأهله حتى يضربهم هذه الضربات العظيمة، فالرجل لم يذنب فقد أخذ أخت أبرام على حسب ما كان يظن وأعطاه مهرها أو ثمنها أو أيًا كان التعبير، وعندما اكتشف أنها على ذمة رجلٍ آخر ردها إليه معززةً مكرمةً لم ينقص منها شيئٌ يُذكر...!

المهم أن فرعون ترك السيدة الفاضلة سارة امرأة أبينا المقدّس أبرام ترحل مع زوجها ولم يحاول استرداد المال الذي دفعه للسيد أبرام ثمنًا لزوجته الطاهرة، وهكذا خرج البطريرك المقدّس أبرام من مصر الكافرة الوثنية وقد كان:

«غَنِيًّا جِدًّا فِي الْمَوَاشِي وَالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ». (التكوين 13: 2).....!!!!!!!!!

إبراهيم ينصح سارة، بريشة تيسو

والآن هل يحق لنا كمصريين تعرضت عقولنا للتغييب والتزييف تحت ستار الدين على مدى القرون حتى أصبحنا في حالة خجلٍ من ماضينا الفرعوني الذي يوصم في المنظومة الدينية بالكفر، أقول هل يحق لنا الآن أن نعيد النظر فى تاريخنا الفرعوني بعين الإنصاف والعدل والفخر أيضًا، فها هو ملكنا الفرعوني يتعرض للخديعة من بطريركٍ مقدسٍ ويستبيح ماله، وعندما يكتشف الفرعون ذلك لا يتعرض له بسوءٍ ويتركه يرحل من بلده فى سلامٍ ولا يفكر حتى في استرداد الثمن الذي دفعه في مقابل المرأة الفاتنة التي أخذها زوجها ورحل بسلامٍ من أرض الكفر...! إن أي مقارنةٍ بين الفرعون الكافر والنبي الفاضل «كما تصوره لنا التوراة» لن تكون أبدًا في صالح الكهنة، ونحن نتشرف بالانتساب لهذا الفرعون الذي لا نعرف اسمه، ولا يشرفنا الانتماء العرقي ولا الديني لهذا الأبرام الذي يتاجر بعرض امرأته وشرفه فى سبيل بعض الغنم أو حتى الذهب والفضة.

وفي كتابٍ من مكتشفات قمران يدعى «تاريخ إبراهيم» نعرف منه أن إبراهيم قد قضى خمس سنواتٍ في مصر قبل أن

اليهودية والمحروسة جـ 2

محمد شومان

يكتشف الفرعون جمال امرأته، وبعد هذه السنوات الخمس يأخذها فرعون لقصره لتقضي عنده سنتين أخريين، ليصبح جميع ما قضاه السيد أبرام فى مصر سبع سنواتٍ ولكنها ليست عجافًا حيث خرج منها بثروةٍ ماديةٍ وتعلم فيها حكمة المصريين، فكونه زوجًا لسيدةٍ تعيش مع الفرعون في قصره يعطيه الحق في الدخول للمعبد ومعرفة أسرار الكهنة من أجل عيون الست طبعًا.

أما تاريخ دخول أبرام إلى مصر -إن كان قد حدث فعلًا- فليس معروفًا لنا على وجه الدقة فلم يكن ذلك الحدث ذا أهميةٍ عند المصريين حتى يسجلوه فى تاريخهم، وإن كان هناك اعتقادٌ عامٌ أنه كان في عهد الدولة الوسطى، وهذه الفترة كما بينّا سابقًا كانت مرحلةً من الفوضى في الدولة المصرية كنتيجةٍ لحكم الكهنة للدولة القديمة، وإذا كان لنا ملاحظةٌ هنا فهي أن المصري فى ذلك العصر كان يمتلك أفكارًا دينيةً متقدمةً للغاية تعرّضنا لها فى الفصل الأول، ونُضيف هنا معلومةً بالغة الخطورة وهي أن المصري القديم كان من شدة تقديسه للفرعون الذي هو إلهٌ أيضًا لا يجرؤ أن ينطق باسمه بل فقط يشير إليه بلفظة «هو» أو «البيت الكبير» ولاينطق لسانه باسمه أبدًا احترامًا وتقديسًا له، ونلاحظ أيضًا أن اليهودي القديم كان يعبد إلهًا اسمه «يهوه» وهذا الإسم لا معنىً له ومن هنا اتفق معظم الباحثين على أنه اسم إشارةٍ بمعنى «هو» وقيل لنا لاحقًا أن هذا كان تقديسًا من بني إسرائيل للإله وتنزيهًا له عن النطق باسمه، ومن هنا فمن حقّنا أن نعتقد أن إله أبرام هو نفسه الإله المصري الذي أخذه أبرام معه فى رحلة خروجه من مصر الوثنية.

ويعود المقدّس أبرام إلى أرض كنعان بثروة المصريين وأفكارهم وهناك يتزوج من جاريته المصرية التي تدعى «هاجر» التي كانت طبعًا من هدايا الفرعون للحسناء سارة وتنجب له هاجر ابنه الأول إسماعيل الذي يعتقد أنه أبو العرب المستعربة ويعده المسلمون واحدًا من أنبياء الله، كما أنه الجد الأعلى للنبي محمد.

سارة تقود هاجر إلى إبراهيم، بريشة شتوم

وكان أبرام آنئذٍ على حافة سن المئة واحتفالًا بهذه المناسبة السعيدة يغيّر الرب اسمه من أبرام إلى إبراهيم وكذلك اسم زوجته الفاضلة من ساراي إلى سارة، ويعاهده الرب على أن يعطيه أرض كنعان له ولنسله من بعده في مقابلٍ بسيطٍ وهو أن يقطع إبراهيم جزءًا صغيرًا ربما كان زائدًا عن الحاجة في عضوه الذكري وهو ما يسمى بالاختتان، وهي صفقةٌ رابحةٌ طبعًا لإبراهيم أن يعطي غرلته نظير استيلائه بمعونة الرب على أرض الكنعانيين، ولكن حتى هذا الطقس «الاختتان» لم يكن إبداعًا يهوديًا وإنما كان عادةً فرعونيةً قديمةً يمارسها المصري لدواعي النظافة بدون عهدٍ مع الإله، ومن حقّنا هنا أيضًا أن نضيف ذلك السبق المصري إلى قائمة عطاء مصر الفكري للدين اليهودي مع ملاحظة أن إبراهيم نفسه لم يختتن إلا بعد خروجه من مصر.

اليهودية والمحروسة جـ 2

محمد شومان

السفر العاشر: لوط البار

إبراهيم يحمل سكين الختان، جدراية بريشة ليبّي، 1502

وبعد أن اختتن إبراهيم وأهل بيته وعبيده يفاجأ بزيارةٍ غير متوقعةٍ من الإله شخصيًا مصطحبًا معه اثنين من زملائه، أو ربما لو لوينا عنق النص تأدبًا منا قلنا ملكين، ويخبره كبيرهم أنهم جاءوا لتدمير مدينتي سدوم وعمورة التي سكن بها لوطٌ بعد انفصاله السلمي عن إبراهيم، وسبب الدمار هو أنهم كانوا يفعلون الشر أمام الرب أو بمعنى أدق أنهم كانوا يمارسون اللواط، واتجه الملكان إلى مدينة سدوم حيث استقبلهم البطريرك لوطٌ الذي أصر بشهامةٍ واضحةٍ أن يستضيفهما فى بيته لغرضٍ في نفس لوط، ويبدو أن هذين الملكين كانا في غاية الوسامة حتى أنهما هيجا كل أهل المدينة الذين ذهبوا إلى لوطٍ في مظاهرةٍ طالبين منه أن يخرج لهما الملكين ليمارسوا معهما الرذيلة، ولكن البطريرك المقدّس يعرض عليهم حلًا آخر وهو أن يعطي للثوار ابنتيه ليفسقوا بهما- ولاندري كيف هانتا عليه - ولكن الجمع الثائر يرفض هذا العرض مصرًا على معصيته ويتقدم ليكسر الباب، وهنا يظهر الملاكان قوتهما فيصيبان الجمع المسعور بالعمى (وهي القصة نفسها التي يرويها المسلمون عن محمدٍ النبي حين قرّر الهجرة للمدينة) وينجيان لوطًا وزوجته وابنتيه، ولكن زوجته فى الطريق تلتفت وراءها ليعاقبها الرب بأن يحولها إلى عمودٍ من الملح...! ياللهول... تخيل شفاك الله لو أنك تسير فى الشارع مع زوجتك ورأيتها فجأةً تتحول إلى عمودٍ من الملح لأنها تجرأت ونظرت وراءها، نعلم بالطبع أن معظم الأزواج يتمنون أن يحوّل يهوه زوجاتهم إلى عمودٍ من الملح، ولكن ليس كل الرجال أطهارٌ مثل نبيّنا المبجل لوط.

وتمطر السماء على سدوم وعمورة:

«كِبْرِيتًا وَنَارًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ». (التكوين 19: 24).

وهكذا تتعرض المدينة للدمار التام ولا يبقى منها سوى لوطٍ الهارب من الدمار مع ابنتيه فقط.

ويدخل لوطٌ وابنتاه فى مغارةٍ فى الجبل حيث تعتقد الابنتان أن أباهما هو آخر رجلٍ فى الكون- باعتبار أن الكبريت والنار الهابطة من السماء قد قضت على كل البشرية - وأن عليهما واجبًا مقدسًا وهو أن تنجبا أولادًا حتى تستمر الحياة على كوكبنا المبارك، ولأن البنتين هما آخر الإناث وأباهما القديس هو آخر الرجال فلتضحي كلٌ منهما بشرفها فى سبيل إعمار الكون:

اليهودية والمحروسة جـ 2

محمد شومان

بنات لوط تسقين والدهن الخمر

«وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلًا. فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا. وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلًا. فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا، فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا». (التكوين 19: 31-37).

نعم هكذا تحكي لنا التوراة أن البطريرك المقدّس لوطًا رسول الله قد زنا بابنتيه، ورغم اشمئزازنا من النص المقدّس ومن البطريرك المقدّس إلا أننا نتساءل هل يصل السكْر بإنسانٍ أيًا كان إلى درجة أن يمارس الجنس بدون أن يشعر؟ فما بالك إذا كان يمارس الجنس مع بناته؟ هل توجد قذارةٌ أكثر من هذه؟ وفي كتابٍ يفترض أنه مقدسٌ وموحًى به من عند الرب. إننا لا نجد هذه القذارة فى الكتب التي حرمها علينا الكهنة مثل فن الهوى أو عودة الشيخ إلى صباه، ويتبجح الكهنة قائلين أن كتابهم المقدّس لو كان قد تعرض للتحريف لكان المحرفون قد أخفوا فضائح الأنبياء التي لا يستسيغها عقل...! أي أنهم يستدلون بهذه القذارة على نقاء كتابهم وصحة توراتهم؟

ونترك لوطًا وبناته في هذا المستنقع القذر ونعود إلى المقدّس إبراهيم أبي الأنبياء الذي يبدو أنه قد تعود على الكسب السريع، فحين ذهب إلى مملكة جرار قال أيضًا عن سارة هي أخته...؟ نعم كررها مرةً ثانيةً، وقال لأبيماك ملك جرار أن الفاتنة سارة هي أخته وكذب للمرة الثانية، وبالتالي أرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة العجوز الفاتنة التي أهاجت كل ملوك المشرق، لاحظ أنها قد أصبحت الآن على مشارف سن التسعين:

«وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ سَارَةَ امْرَأَتِهِ: «هِيَ أُخْتِي». فَأَرْسَلَ أَبِيمَالِكُ مَلِكُ جَرَارَ وَأَخَذَ سَارَةَ. فَجَاءَ اللهُ إِلَى أَبِيمَالِكَ فِي حُلْمِ اللَّيْلِ وَقَالَ لَهُ: هَا أَنْتَ مَيِّتٌ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ الَّتِي أَخَذْتَهَا، فَإِنَّهَا مُتَزَوِّجَةٌ بِبَعْل. وَلكِنْ لَمْ يَكُنْ أَبِيمَالِكُ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: يَا سَيِّدُ، أَأُمَّةً بَارَّةً تَقْتُلُ؟ أَلَمْ يَقُلْ هُوَ لِي: إِنَّهَا أُخْتِي، وَهِيَ أَيْضًا نَفْسُهَا قَالَتْ: هُوَ أَخِي؟ بِسَلاَمَةِ قَلْبِي وَنَقَاوَةِ يَدَيَّ فَعَلْتُ هذَا. فَقَالَ لَهُ اللهُ فِي الْحُلْمِ: «أَنَا أَيْضًا عَلِمْتُ أَنَّكَ بِسَلاَمَةِ قَلْبِكَ فَعَلْتَ هذَا. وَأَنَا أَيْضًا أَمْسَكْتُكَ عَنْ أَنْ تُخْطِئَ إِلَيَّ، لِذلِكَ لَمْ أَدَعْكَ تَمَسُّهَا. فَالآنَ رُدَّ امْرَأَةَ الرَّجُلِ، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، فَيُصَلِّيَ لأَجْلِكَ فَتَحْيَا. وَإِنْ كُنْتَ لَسْتَ تَرُدُّهَا، فَاعْلَمْ أَنَّكَ مَوْتًا تَمُوتُ، أَنْتَ وَكُلُّ مَنْ لَكَ». (التكوين 2: 2-10).

اليهودية والمحروسة جـ 2

محمد شومان

وهكذا يظهر يهوه الساهر على شرف نبيه إبراهيم لأبيمالك فى الحلم ليخبره بأنه قد أخذ زوجة نبيٍّ ومن الأفضل له أن يعيدها معززةً مكرمةً إلى زوجها بل وأن يطلب من زوجها المقدّس الدعاء له، ولنا أن نتخيل دهشة الملك الوثني أبيمالك من الانحلال الخلقي الذي يتمتع به أنبياء العهد القديم ومدى تسامح ربهم معهم، ولكن التوراة تؤكد هنا:

«وَلكِنْ لَمْ يَكُنْ أَبِيمَالِكُ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهَا». (التكوين 20: 4).

إذن فقد كان فرعون قد اقترب إليها لأن التوراة لم تنفِ ذلك.

«فَأَخَذَ أَبِيمَالِكُ غَنَمًا وَبَقَرًا وَعَبِيدًا وَإِمَاءً وَأَعْطَاهَا لإِبْرَاهِيمَ، وَرَدَّ إِلَيْهِ سَارَةَ امْرَأَتَهُ». (التكوين 20: 14).

إذن فقد خرج المقدّس إبراهيم من تجارته بزوجته للمرة الثانية بثروةٍ طائلةٍ تجعلنا نتساءل بجديةٍ عن مدى إيمان الرب يهوه بمبدأ ميكيافللى «الغاية تبرر الوسيلة»، وتجعلنا أيضًا نتساءل عن القيم التي يجب أن نتبناها حتى نصبح مقربين للرب مثل البطريرك الطاهر إبراهيم، وتجعلنا نتساءل بجديةٍ عن مشاعر الاحترام التي تنظر بها سارةٌ لزوجها المقدّس الذي يتركها على كل فراشٍ قليلًا من أجل بعض الغنم، وهل تستطيع أي امرأةٍ في أي عصرٍ أن تنظر باحترامٍ لرجلٍ يتاجر بشرفها ويبيع شرفه هو أيضًا في سبيل بعض المغانم؟ وتجعلنا أخيرًا نتساءل عن معايير الرب يهوه فى اتخاذ رجاله الأطهار ليصبحوا قدوةً للبشرية التاعسة...؟

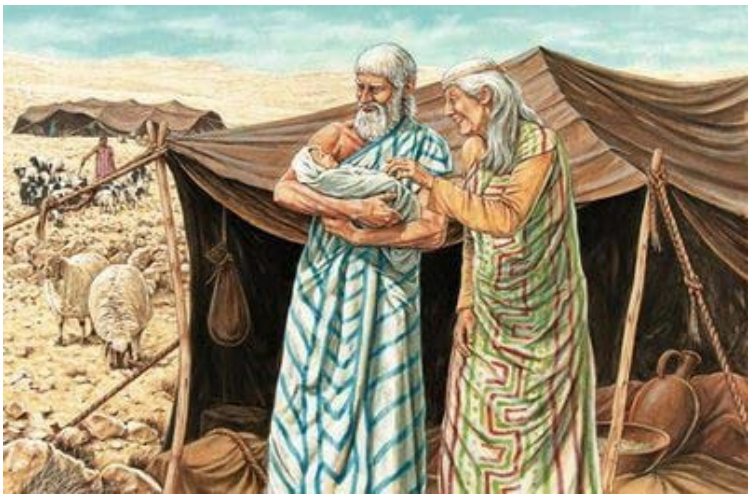

ولكن ليست هذه هي نهاية أعمال إبراهيم الطاهرة، فقد ولدت له زوجته الطاهرة سارة ابنًا هو إسحق وكانت حينئذٍ فى سن التسعين، ولن نتعجب فنحن نؤمن بقدرة يهوه القادر على إتيان أفظع المعجزات، وبعد أن اكتملت أنوثة الطاهرة سارة بالإنجاب ثارت الغيرة فى قلبها لذا طلبت من زوجها المقدّس إبراهيم أن يطرد الجارية وابنها:

«أَنَّ ابْنَ هذِهِ الْجَارِيَةِ لاَ يَرِثُ مَعَ ابْنِي إِسْحَاقَ». (التكوين 21: 10).

طبعًا علمنا جميعًا أن ثروة المقدّس إبراهيم كانت من نتاج تعب وكفاح السيدة الفاضلة سارة في حجرات النوم الملكية، ما علمنا منها مما ذكرته التوراة وربما أيضًا مما خجل من ذكره كاتب التوراة المقدس، وبما أن الثروة ثروتها فمن حقها أن تحافظ عليها بالكيفية التي تراها، وابنها بالتأكيد أحق من ابن سارة بالميراث الذي لم تتعب هاجر الجارية فى جمعه مثلها، ويبدو أن إبراهيم قد تردد فى تنفيذ أمر سارة مما دفع بالرب الذي غضب من آدم لأنه سمع لقول امرأته أن يأتي لإبراهيم ليقول له: «فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعْ لِقَوْلِهَا» (التكوين 21: 12)!

اليهودية والمحروسة جـ 2

محمد شومان

ولا ندري هل للإله يهوه مبادئٌ يمشي عليها أم أنه يتصرف من وحي اللحظة؟ فمرةً ينتقم من آدم لأنه سمع كلام امرأته، ومرةً أخرى يطلب من إبراهيم أن يسمع كلام امرأته، وبما أن سماع كلام الفاضلة سارة هو أمرٌ إلهي لا يرد:

«فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَأَخَذَ خُبْزًا وَقِرْبَةَ مَاءٍ وَأَعْطَاهُمَا لِهَاجَرَ، وَاضِعًا إِيَّاهُمَا عَلَى كَتِفِهَا، وَالْوَلَدَ، وَصَرَفَهَا. فَمَضَتْ وَتَاهَتْ فِي بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ». (التكوين 21: 14).

الطريف في هذا النص الجميل أنه يقول أن هاجر المسكينة قد حملت طفلها على كتفيها وتاهت فى الصحراء بطفلها، أما الطريف فهو أن هذا الطفل المسكين الذي كانت تحمله لم يكن في الحقيقة طفلًا بمعنى الكلمة بل كان شابًا فى السادسة عشرة من عمره على الأقل، وهاكم النص المقدس:

«فَوَلَدَتْ هَاجَرُ لأَبْرَامَ ابْنًا. وَدَعَا أَبْرَامُ اسْمَ ابْنِهِ الَّذِي وَلَدَتْهُ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ. كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ لأَبْرَامَ». (التكوين 16: 16-15).

«وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ حِينَ وُلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ ابْنُهُ». (التكوين 21: 5).

أي أن الفرق بين ميلاد إسماعيل وميلاد إسحاق أربعة عشر عامًا...!

هاجر تسقي إسماعيل الماء في الصحراء

تخيل حماك الله أُمًا فى الثلاثينات من عمرها تحمل رجلًا فى السادسة عشرة من عمره وتتوه به فى الصحراء، والأطرف أن هذا الطفل الرجل جلس يبكي- كما يرى التراث الديني الإسلامي- من العطش وظلت أمه تبحث عن ماءٍ له فى الصحراء وظلت تجري بين الصفا والمروة سبعة أشواطٍ حتى انفجرت عينٌ من الماء تحت قدمي الطفل الرجل الباكي، هذه العين هى بئر زمزم الشهيرة، ونحن لا ندري والله هل نضحك أم نبكي من الحزن على مستوى التفكير البشري المؤمن بهذه الخزعبلات.

ونحن طبعًا بعقولنا القاصرة نجهل كيف يمكن لرجلٍ أن يطرد امرأته وابنه من بيتهما ويتركهما ليتوهان فى الصحراء ويتعرضان لشتى الأخطار إلا إذا افترضنا أن السيدة الفاضلة سارة كانت على علمٍ مسبقٍ بمقاصد الإله يهوه فأوحى إليها أن تطرد الجارية حتى يصبح نسلها هم العرب المستعربة الذين ورثوا العرب العاربة الذين انتهى أمرهم من قبل ظهور إسماعيل، وأيضًا لكي تكون هناك صلةٌ بين الأديان الكبرى ممثلةً في بُنُوّتها للمقدّس إبراهيم الطاهر.

اليهودية والمحروسة جـ 2

محمد شومان

وبعد حياةٍ حافلةٍ بالطهارة كما رأينا يموت النبي إبراهيم كليم الله وأبو الأنبياء والمرسلين وهو فى الخامسة والسبعين بعد المئة وهو شبعان، أيامًا ويدفنه إبناه إسحق وإسماعيل فى مقبرةٍ كان قد اشتراها سابقًا من الحيثيين- حتى هذه اللحظة لم يكن إبراهيم يمتلك إلا مجرد مقبرةٍ في فلسطين – ودفن بها زوجته الطاهرة سارة وها هو أبونا إبراهيم يلحق بها.

السفر الحادي عشر: إسحاق حامل الراية

وبموت إبراهيم يتسلم الراية من بعده المقدّس إسحق ويكمل مسيرة الطهر التي بدأها أبوه «غنيٌّ عن القول أن البكورية كانت من حق إسماعيل، ابن إبراهيم البكر ولكن لأنه ابن الجارية المصرية الشريفة فاليهود يرفضونه ويعدون إسحق هو الأحق بالخلافة»، ويتزوج إسحق برفقة التي كانت عاقرًا في البداية، نلاحظ أن الرب يهوه التوراتي يجد سعادةً طاغيةً في فتح أرحام النساء فعلى الرغم من وعوده المتكررة لإبراهيم ونسله أن يجعل نسلهم كرمل البحر إلا أننا نجد النساء التوراتيات في الغالب يعانين من العقم حتى يأتي الرب يهوه ويمتّع نفسه بفتح أرحامهن، ويدعو إسحق إلهه أن يفتح رحم زوجته وهو ما يستجيب له الرب، ولكن يبدو أنه قد فتحه بعنفٍ ليتمكن إسحق من أن يضع فيه توأمًا هما عيسو البكر ويعقوب التالي، ويكبر الولدان ليبيع عيسو ليعقوب حق البكورية بصحنٍ من العدس – نعم هكذا تقول التوراة...!

«فَقَالَ يَعْقُوبُ: بِعْنِي الْيَوْمَ بَكُورِيَّتَكَ. فَقَالَ عِيسُو: هَا أَنَا مَاضٍ إِلَى الْمَوْتِ، فَلِمَاذَا لِي بَكُورِيَّةٌ؟ فَقَالَ يَعْقُوبُ: احْلِفْ لِيَ الْيَوْمَ. فَحَلَفَ لَهُ، فَبَاعَ بَكُورِيَّتَهُ لِيَعْقُوبَ. فَأَعْطَى يَعْقُوبُ عِيسُوَ خُبْزًا وَطَبِيخَ عَدَسٍ». (التكوين 25: 31-34).

ولا يحسبن أحدٌ أن «الطفاسة» وحب العدس هي السبب الوحيد لبيع البكورية من عيسو ليعقوب، بل على الأدق هى عملية انتخابٍ طبيعيٍّ لنسلٍ معينٍ لهدفٍ محددٍ ألا وهو إعلاء شأن النسل الموعود وتصفية كل ماعداه سواءٌ من حيث الأشخاص أو حتى من حيث طبيعة العمل.

ثم يحدث جوعٌ فى الأرض ليرحل منها يعقوب بزوجته إلى مملكة جرار حيث نفاجأ بأبيمالك الشهير مازال ملكًا عليها بعد موقعته مع إبراهيم بثمانين عامًا:

«وَسَأَلَهُ أَهْلُ الْمَكَانِ عَنِ امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: هِيَ أُخْتِي. لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَقُولَ: امْرَأَتِي لَعَلَّ أَهْلَ الْمَكَانِ: يَقْتُلُونَنِي مِنْ أَجْلِ رِفْقَةَ لأَنَّهَا كَانَتْ حَسَنَةَ الْمَنْظَرِ». (التكوين 26: 7).

وهنا يثبت إسحق عمليًا أنه مستحقٌ لخلافة أبيه إبراهيم فيدعي أن رفقة أخته وليست زوجته إلى أن يراه أبيمالك في وضعٍ غير أخويٍّ معها فيتأكد أنه ابن إبراهيم مربوب يهوه فيأمر أتباعه بعدم التعرض للزوجة المقدسة خوفًا من انتقام الرب الإله:

«الَّذِي يَمَسُّ هذَا الرَّجُلَ أَوِ امْرَأَتَهُ مَوْتًا يُمَوتُ». (التكوين 26: 11).

وهكذا نزداد يقينًا فقرةً بعد أخرى من التقدم الخلقي الذي جاء به شعب الله المختار ليُخرجوا البشرية الضالة من

اليهودية والمحروسة جـ 2

محمد شومان

ظلمات الجهل إلى نعمة الإيمان بالنماذج المشرفة لرجالهم الأطهار الذين ستصبح تصرفاتهم المسطورة هذه مادةً للعبادة، فنحن جميعًا نتقرب إلى الله بتلاوة كلماته المقدسة في معابدنا يوميًا حتى يرضى عنا ويسدد خطانا.

ويشيخ المقدّس إسحق ويكف بصره فيخدعه المقدّس يعقوب ويسرق منه البركة التي كان ينوي منحها لعيسو ويفر هاربًا إلى حاران موطن جده خوفًا من انتقام عيسو، وهناك يظهر له الرب ويجدد معه العهد بأن يُكثر نسله ويعطيهم أرض الكنعانيين، ولأن يعقوب يهوديٌ صرفٌ يعقد اتفاقًا مع الإله بأن يرضى به يعقوب ربًا فى نظير أن يحفظه يهوه في طريقه ويعطيه خبزًا وثيابًا ويرده سالمًا إلى بيته ويوافق الرب يهوه على الاتفاق، ثم يتزوج يعقوب من ابنتي خاله «راحيل» و«ليئة» وكذا من جاريتيهما «زلفة» و«بلهة» لينجب منهن اثني عشر ابنًا الذين سيصبحون أسباط إسرائيل الشهيرة.

وبعد مغامراتٍ توراتيةٍ يهرب المقدّس يعقوب بزوجاته وأبنائه وأيضًا بمواشي خاله ليرجع إلى أرض كنعان، وفي الطريق إلى كنعان يحدث أن يقابل بطلنا يعقوب الرب يهوه ويدخل في صراعٍ بدني معه حتى طلوع الفجر، ولكن يبدو أن بطلنا كان قويًا للغاية إلى حد أن الإله يهوه لم يستطع أن يهزمه وعندما طال الصراع حتى مطلع الفجر بدأ الإله يهوه يتوسل ليعقوب أن يتركه يمضي فيسمح له يعقوب بذلك بعد أن يغيّر الإله اسمه من يعقوب إلى إسرائيل: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ». (التكوين 32: 28).

التي ترى التوراة أن معناها هو «مصارع الله» فى حينٍ يرى «فيلون» الفيلسوف اليهودي في عصر الميلاد أن إسرائيل كلمةٌ كلدانيةٌ وليست عبريةً وتعني «الذي رأى الله»، وأيا كان الخلاف الفقهي حول مدلول الكلمة إلا أن الذي يعنينا فى هذه النقطة هو مدلولها عن كيفية تصور اليهودي للإله الذي يدخل في صراعٍ مع بشريٍّ ولايستطيع الانتصار عليه...! ويصل البطل يعقوب الذي أصبح اسمه الآن إسرائيل إلى مدينة شكيم في أرض كنعان حيث يُعجب ابن الملك بالأنوثة الطاغية للآنسة «دينة» ابنة إسرائيل فلا يتمالك نفسه أمام جمالها الفتان فيغتصبها- ملحوظة: كانت دينة طفلةً في الرابعة من عمرها - وعندما يحاول الملك «حمور» إصلاح غلطة ابنه ويطلب يد الفاتنة دينة لابنه شكيم يشترط عليه إخوتها أن يختتن شكيم وكل أهله حتى يرضى إسرائيل بمصاهرته، فيوافق الرجل الطيب ويختتن جميع رجاله، وفيما هم يعانون من الألم فى تلك المنطقة الحساسة يدخل عليهم شمعون ولاوي ويقتلان جميع شعب شكيم بحد السيف انتقامًا لشرف أختهما المهدر- ملحوظة: كان أحدهما طفلًا في الحادية عشرة والثاني في الثانية عشرة - ولكننا نسينا التعجب من بداية مسيرتنا مع التوراة ولا نجد عندنا حتى رغبةً فى التعليق.

اليهودية والمحروسة جـ 2

محمد شومان

وتموت رفقة زوجة إسرائيل ويستغل رأوبين ابنه البكر فترة الحداد فيعتلي زوجة أبيه «بلهة» ويزين رأس أبيه المقدّس بقرنين جميلين – ونحن نؤمن طبعًا بأنها ذريةٌ بعضها من بعضٍ فالجد يتاجر بعرض امرأته والابن يسرق البكورية من أخيه والغنم من خاله فيأتي الحفيد ويمتطي زوجة أبيه - وهو ما يدفعنا إلى التساؤل المشروع عن منظومة القيم الخُلقية التي جاء بها الدين اليهودي والأنبياء الكبار، وعن التطور الخُلقي الذي أحدثه تدخل الإله يهوه فى حياة الشعب اليهودي، لنكتشف أن المقياس الخُلقي لم يظهر عند أنبياء اليهودية ولا حتى عند يهوه نفسه إلا بعد خروجهم من مصر على يد موسى، أما قبل ذلك فنجد الأنبياء العظام يتصرفون تصرفاتٍ قذرةً لا يرضى عنها ولا حتى يمارسها حثالة البشر من غير المتدينين، كما رأينا منذ قليلٍ مع فرعون مصر وإبراهيم وكذا مع أبيمالك وإبراهيم وابنه، ومع لوطٍ وبنتيه مما يدفعنا إلى الشك بأن منظومة القيم الخُلقية عند الشعوب الوثنية كانت أعظم من منظومة يهوه الخُلقية، هذا إذا كان يهوه له منظومةٌ خلقيةٌ من الأساس.

السفر الثاني عشر: النبي والخصي

يوسف وزوجة فوطيفار، ستوديو سينياني

ونصل الآن للشاب الفاتن «يوسف» بن يعقوب الشهير بإسرائيل الذي لم يكن على علاقةٍ وديةٍ مع باقي اخوته بسبب أحلامه الاستفزازية، ولذا قرروا قتله ولكنهم تراجعوا فى آخر لحظةٍ واكتفوا ببيعه إلى قافلةٍ إسماعيليةٍ كانت متوجهةً إلى مصر فباعته بدورها إلى «فوطيفار» الذي تصفه التوراة بأنه «خصي» ورئيس الحرس الملكي، أما لماذا هو خصي فمرجعه إلى أن يوسف كان فاتنًا وكان كذلك عبدًا أي يستطيع سيده أن يفعل به مايشاء فى زمنٍ كان اللواط منتشرًا فيه بين بني المشرق «وما سدوم وعمورة ببعيد»، ومن هنا خشي كهنة التوراة من غمز الخبثاء فى عفة يوسف فجعلوه يعيش فى بيت رجلٍ مخصي، ولكننا نكتشف أن هذا المخصي كان متزوجًا لا ندري كيف، فكان من الطبيعي والحال كذلك أن تحاول زوجة هذا الخصي أن تطفئ نارها بين أحضان الفتى الوسيم الذي يعيش معها فى البيت، ولكن الفتى الطاهر يرفض بإباءٍ خيانة سيده، فتنتقم منه المرأة الشهوانية بأن تدخله السجن بتهمة التحرش الجنسي.

ولأن تفسير الأحلام عملٌ قد يجلب المجد لصاحبه يفسر يوسف لفرعون مصر حلمًا كان جلالته قد رآه وعجز كهنته عن تفسيره ومفاده أنه رأى فى المنام سبع بقراتٍ عجافٍ يأكلن سبعًا سمان، ويكون تفسير الفتى الوسيم للحلم أنه سيأتي على مصر سبع سنين فيهن رخاء ويعقبهن سبعٌ أخر عجافٌ يأكلن خيرات سنين الرخاء، ويكون اقتراح يوسف للفرعون

اليهودية والمحروسة جـ 2

محمد شومان

أن يدخر فى سنين الرخاء ما يؤمنه فى السنين العجاف، وينبهر الفرعون بفكرة الفتى العبقرية إلى حد أنه يعيّنه كوزير زراعة المملكة المصرية أو كما تقول التوراة:

«وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: أَنَا فِرْعَوْنُ. فَبِدُونِكَ لاَ يَرْفَعُ إِنْسَانٌ يَدَهُ وَلاَ رِجْلَهُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ». (التكوين 41: 44).

أي أنه أصبح الرجل الثاني بعد الفرعون مباشرةً في تصريف شؤون البلاد ولا يستطيع أحدٌ أن يرفع يده أو رجله إلا بإذنه، ويغير الفرعون اسمه من «يوسف» كما كان يدعى إلى «صفنات فعنيح»، أي «طعام الحياة»، كما يرى المفسرون، أو ربما تعني «كاشف الأشياء الخفية» كما يرى يوسيفوس، وليتم فرعون نعمته على يوسف يقرر تزويجه ويختار له عروسه التي نُفاجأ بأنها «إسنات» ابنة «فوطيفار» الخصي الشهير الذي فاجأتنا التوراة منذ قليلٍ بأنه متزوجٌ وها هي تُفاجئنا ثانيةً بأنه أيضًا قادرٌ على الإنجاب...! وقد أصبح فوطيفار الآن يشغل وظيفة كاهن هليوبوليس، وهكذا يبزغ نجم مفسر الأحلام التوراتي الشهير ويصبح نائبًا في المملكة المصرية ومخلصها من المجاعة وصهرًا للكهنة، وتبدأ الدنيا فى الابتسام له بعد طول عبوس.

السفر الثالث عشر: السنين العجاف

والآن لنرى كيف أدار يوسف الصديق أزمة السنين العجاف فى بر مصر المحروسة، ففي أول سنتين أخذ من المصريين نقودهم وفضتهم فى مقابل إعطائهم احتياجاتهم من مخازن القمح الإمبراطوري، وفي السنة الثالثة:

«أَتَى جَمِيعُ الْمِصْرِيِّينَ إِلَى يُوسُفَ قَائِلِينَ: أَعْطِنَا خُبْزًا، فَلِمَاذَا نَمُوتُ قُدَّامَكَ؟ لأَنْ لَيْسَ فِضَّةٌ أَيْضًا. فَقَالَ يُوسُفُ: هَاتُوا مَوَاشِيَكُمْ فَأُعْطِيَكُمْ بِمَوَاشِيكُمْ، إِنْ لَمْ يَكُنْ فِضَّةٌ أَيْضًا». (التكوين 47: 15-16).

عندما لم يجد الشعب المسكين ما يدفعه مقابل القمح بعد أن جردهم يوسف من أموالهم بدأ في أخذ ما تبقى لديهم وهي مواشيهم، ولا ندري ماذا يفعل يوسف بالمواشي والأرض لا تنتج زرعًا من الأساس...!

أما في السنة الرابعة فلم يجد الشعب المسكين ما يعطيه ليوسف في مقابل الغلة الإمبراطورية فأتوا إليه قائلين:

«لاَ نُخْفِي عَنْ سَيِّدِي أَنَّهُ إِذْ قَدْ فَرَغَتِ الْفِضَّةُ، وَمَوَاشِي الْبَهَائِمِ عِنْدَ سَيِّدِي، لَمْ يَبْقَ قُدَّامَ سَيِّدِي إِلاَّ أَجْسَادُنَا وَأَرْضُنَا. لِمَاذَا نَمُوتُ أَمَامَ عَيْنَيْكَ نَحْنُ وَأَرْضُنَا جَمِيعًا؟ اِشْتَرِنَا وَأَرْضَنَا بِالْخُبْزِ، فَنَصِيرَ نَحْنُ وَأَرْضُنَا عَبِيدًا لِفِرْعَوْنَ» (التكوين 47: 18-19)...!

اليهودية والمحروسة جـ 2

محمد شومان

هذا هو النص التوراتي المقدّس الذي يحدثنا عن حكمة يوسف الصديق في إدارة أزمة المجاعة فى بر مصر، فقد جعل المصريين عبيدًا للفرعون نظير القمح الذي أعطاه لهم حتى لايموتوا جوعًا في سابقةٍ تاريخيةٍ لم يستطع أخبث الكهنة من قبله أن يفعلها، بل تورد التوراة نصًا يعد مثالًا للإذلال فتقول أن الشعب أتى ليوسف قائلًا: «لَيْتَنَا نَجِدُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْ سَيِّدِي فَنَكُونَ عَبِيدًا لِفِرْعَوْنَ» (التكوين 47: 25).

أي أن الشعب يتوسل للمقدس يوسف لكي يرفعه إلى مرتبة العبيد...!

ولكن ها هو المقدّس يوسف- والتوراة لا تعد يوسف نبيًا من أنبيائها- ابن النبي حفيد النبي زوج ابنة الكاهن يقوم بعملٍ لا نستطيع أن نعده فى غاية النبل، وهو نموذجٌ لحكم الكهنة في كل العصور وكل الأديان، ولأن يوسف فى التقييم الموضوعي واحدٌ من الكهنة ولأن الكهنة مهما اختلفت دياناتهم ومعتقداتهم إلا أنهم يكوِّنون فيما بينهم حلفًا – سواءٌ أكان هذا الحلف مقدسًا كما يرون أو مدنسًا كما نرى ونعتقد - وهذا الحلف قائمٌ على المصالح المشتركة التي يمكن إيجازها في عملٍ واحدٍ وهو ابتزاز جماهير المؤمنين، فبينما الشعب يموت جوعًا ويبيع روحه لفرعون من أجل حفنة قمحٍ إذا بنا نجد الكهنة يعيشون في بلهنيةٍ ويمدّهم يوسف بالميرة وتظل أرضهم ملكًا لهم لايستطيع أحدٌ الاقتراب منها، فتقول التوراة عن موقف يوسف منهم: «إِلاَّ إِنَّ أَرْضَ الْكَهَنَةِ لَمْ يَشْتَرِهَا، إِذْ كَانَتْ لِلْكَهَنَةِ فَرِيضَةٌ مِنْ قِبَلِ فِرْعَوْنَ، فَأَكَلُوا فَرِيضَتَهُمُ الَّتِي أَعْطَاهُمْ فِرْعَوْنُ، لِذلِكَ لَمْ يَبِيعُوا أَرْضَهُمْ». (التكوين 47: 22).

ألا يعني ذلك أن قلب دراكولا مصاص الدماء الشهير يمتلك من الرحمة ما لا يمتلكه قلب الكاهن سواءٌ كان هذا الكاهن حاكمًا أو محكومًا...؟ فالكاهن الحاكم يأخذ الناس عبيدًا فى مقابل رغيف الخبز، فى حين يترك زميله الكاهن المحكوم يتمتع بأرضه وامتيازاته وأيضًا بالقمح الإمبراطوري المجاني، طبعًا فى مقابل أن يخرج الكاهن المحكوم على الشعب المحروم ويبشرهم بالجنة الموعودة المدخرة في الآخرة للصابرين من الفقراء الذين باعوا أرواحهم فى سبيل لقمة عيش، ألا لعنة الله على الكهنة جميعًا حاكمين ومحكومين.

ونلاحظ هنا أن قصة السنين العجاف هذه لم ترد في أي مصدرٍ من مصادر التاريخ في العالم القديم مع أن حادثةً بهذا الحجم الضخم كانت كافيةً لتغيّر من خريطة إفريقيا كلها، فمعنى أن فيضان النيل ينقطع لسبع سنواتٍ متصلةٍ أن تتحول منابع النيل إلى صحراء قاحلةٍ في كارثةٍ تاريخيةٍ لابد وأن تُذكر فى كتب التاريخ وأن نرى آثارها فى طبيعة المنطقة، ولكننا لن نجادل التوراة في هذه النقطة وسنقبلها على علاتها وسنتوقف فقط عند توقيت دخول الشاب الوسيم يوسف إلى مصر فلنا هنا وجهة نظرٍ نطرحها كالتالي.

اليهودية والمحروسة جـ 2

محمد شومان

قلنا سابقًا أن الهكسوس قد احتلوا مصر منذ الأسرة الثالثة عشر حتى أواخر الأسرة السابعة عشر، وكلمة هكسوس لا تشير إلى جنسٍ معينٍ بل هي تحريفٌ للكلمة المصرية «حقاو خاسوت» التي تعني حرفيًا ملوك الرعاة، وهناك من المؤرخين من يرى أن هذا الاحتلال لم يكن نتيجةً لهجمةٍ خارجيةٍ بل كان تغلغلًا داخليًا، أي أن هؤلاء الرعاة كانوا يقيمون بالفعل فى مصر واستغلوا الاضطراب الذي حدث نتيجة حكم الكهنة وضعف البلاد فاستولوا على الحكم، وأيًا كان الأمر فالمؤكد أنه كان بين الجيش الهكسوسي فيلقٌ ينتمي أفراده إلى العبريين وبالتالي فليس من المستبعد أن يصل أحد أبناء جلدتهم إلى هذا المنصب فى ظروف الاحتلال، علمنا ذلك من العثور على جُعَلٍ فرعونيٍّ منقوش عليه «يعقوب آل» يرجع تاريخه إلى عهد الهكسوس، ونضيف إلى ذلك اعتداد المصري القديم بنفسه وفخره بأصوله وبالتالي نظرة الاحتقار التي كان ينظر بها إلى الأمم الأخرى مما يمنعه من أن يجعل غريبًا عنه فى هذا المنصب، كما أنه لم يكن من عادة الفراعنة في تلك الفترة أن يتركوا مقاليد الحكم في أيدي الغرباء وبالتالي فمن المنطقي أن يكون دخول يوسف مصر متزامنًا مع هيمنة الهكسوس عليها حتى يستطيع أن يصل إلى هذا المنصب الخطير.

السفر الرابع عشر: العاهرة والمقدس

ثامار ويهوذا، بريشة ڤرنيه

وفي فترة حكم يوسف في مصر كان إخوته وأبوه ما يزالوا يعيشون في أرض كنعان، حيث استقل عنهم «يهوذا» بن يعقوب- الذي سيصبح في الديانة المسيحية جد المسيح- وتزوج من امرأةٍ كنعانيةٍ لينجب منها ثلاثة أبناء «عير» و«أونان» و«شيلة»، ويكبر الأبناء ليتزوج عيرٌ من «ثامار»- التي ستصبح كذلك جدة المسيح- وعلى ما يبدو كان عيرٌ يتمتع بمضاجعة زوجته في مؤخرتها، وهو مارفضه الرب بشدة حيث كان لا بد وأن يأتي المسيح عيسى من هذه السلالة الطاهرة، وهكذا أمات الله عيرًا الشرير لسوء سلوكه ولرفضه الإنجاب، واتباعًا للعرف اليهودي تزوج الابن الثاني ليهوذا الذي هو «أونان» من ثامار لينجب منها نسلًا، وكان العرف يقضي بأن يصبح نسله من زوجة أخيه ورثةً للأخ المتوفى ويحملون اسم عمهم بدلًا من حمل اسم أبيهم الحقيقي، ويبدو أن هذا الأمر لم يرق لأونان:

«فَعَلِمَ أُونَانُ أَنَّ النَّسْلَ لاَ يَكُونُ لَهُ، فَكَانَ إِذْ دَخَلَ عَلَى امْرَأَةِ أَخِيهِ أَنَّهُ أَفْسَدَ عَلَى الأَرْضِ، لِكَيْ لاَ يُعْطِيَ نَسْلًا لأَخِيهِ». (التكوين 38: 9).

اليهودية والمحروسة جـ 2

محمد شومان

إذن فقد كان السيد أونان يتبع وسيلة القذف الخارجي كوسيلةٍ للحد من الزيادة السكانية وهو ما لم يعجب الرب أيضًا فعاقبه بالموت، ولم يبق أمام يهوذا سوى ابنه الأخير شيلة، ولكنه كان صغيرًا على الزواج لذا طلب يهوذا من الأرملة ثامار أن تذهب إلى بيت أبيها حتى يكبر الولد ويزوجه لها، ويبدو أن يهوذا قد تشاءم من ثامار أو ربما نسي تعهده لها فقررت ثامار أن تنجب بأي طريقة، وذات يوم كان يهوذا في الطريق ليجد امرأةً تجلس في وضعٍ مغري على قارعة الطريق، ليحسبها من فتيات الليل فيأخذها ويمتطيها، وإذ لم يكن معه نقودًا ليعطيها أجرتها فإنه يرهن عندها عصاه وعمامته...! وهاكم النص المقدّس الذي يتعبد المؤمنون بتلاوته:

«فَأُخْبِرَتْ ثَامَارُ وَقِيلَ لَهَا: هُوَذَا حَمُوكِ صَاعِدٌ إِلَى تِمْنَةَ لِيَجُزَّ غَنَمَهُ. فَخَلَعَتْ عَنْهَا ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا، وَتَغَطَّتْ بِبُرْقُعٍ وَتَلَفَّفَتْ، وَجَلَسَتْ فِي مَدْخَلِ عَيْنَايِمَ الَّتِي عَلَى طَرِيقِ تِمْنَةَ، لأَنَّهَا رَأَتْ أَنَّ شِيلَةَ قَدْ كَبُرَ وَهِيَ لَمْ تُعْطَ لَهُ زَوْجَةً. فَنَظَرَهَا يَهُوذَا وَحَسِبَهَا زَانِيَةً، لأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ غَطَّتْ وَجْهَهَا. فَمَالَ إِلَيْهَا عَلَى الطَّرِيقِ وَقَالَ: هَاتِي أَدْخُلْ عَلَيْكِ. لأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهَا كَنَّتُهُ. فَقَالَتْ: مَاذَا تُعْطِينِي لِكَيْ تَدْخُلَ عَلَيَّ؟ فَقَالَ: إِنِّي أُرْسِلُ جَدْيَ مِعْزَى مِنَ الْغَنَمِ. فَقَالَتْ: هَلْ تُعْطِينِي رَهْنًا حَتَّى تُرْسِلَهُ؟ فَقَالَ: مَا الرَّهْنُ الَّذِي أُعْطِيكِ؟ فَقَالَتْ: خَاتِمُكَ وَعِصَابَتُكَ وَعَصَاكَ الَّتِي فِي يَدِكَ. فَأَعْطَاهَا وَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَحَبِلَتْ مِنْهُ».
(التكوين 38: 13-18).

هذا هو النص المقدّس الذي يحدثنا عن الرجل المقدّس يهوذا الذي يمتطي امرأةً على قارعة الطريق وهو في سن الشيخوخة، ولا نعتقد أن عدم علمه بأنها كنّته يُعفيه من المسؤولية الخلقية لارتكابه جريمة زنا، ولعل الأسوأ من الزنا هو اقترافه على قارعة الطريق، ولعل الأسوأ من اقترافه على قارعة الطريق هو اقترافه في سن الشيخوخة بما فيها من حكمةٍ ووقار.

ونلاحظ أن النص المقدّس يريدنا أن نصدق أن العاهرات كنّ يرتدين النقاب على أيام المقدّس يهوذا، في حين أننا نعلم من معطياتنا التاريخية أن الحجاب كان مقتصرًا على الشريفات من النساء من قِبل قوانين حمورابي التي حرمت على البغيّ ارتداء النقاب وإلا تعرضن للعقاب لتشبههن بالشريفات، أما الإماء فهو محرمٌ عليهن قطعيًا.

امرأة سومرية بحجاب من حوالي 2300 ق.م
(قصر إبلا في تل مرديخ، متحف إدلب بسوريا)

وبعد فترةٍ يسمع يهوذا أن كنّته حبلى وهي بلا زوجٍ فيأمر بحرقها حيةً – وهذا هو النموذج الأمثل للرجل الكاهن في كل العصور فهو يبيح لنفسه الزنا ويمارسه فعليًا بينما يثور ويهدد ويحرق إذا ما علم أن هناك من يقترف نفس الفعل، وكأن الخطيئة مباحةٌ فقط للكهنة بينما يحرمونها على باقي البشر، ولكنها ترسل إليه قائلة:

«حَقِّقْ لِمَنِ الْخَاتِمُ وَالْعِصَابَةُ وَالْعَصَا هذِهِ». (التكوين 38: 25).

اليهودية والمحروسة جـ 2

محمد شومان

ليكتشف أنه هو شخصيًا الذي رفع ساقي كنّته ليجعلها تحبل، ويعترف:
«هِيَ أَبَرُّ مِنِّي، لأَنِّي لَمْ أُعْطِهَا لِشِيلَةَ ابْنِي. فَلَمْ يَعُدْ يَعْرِفُهَا أَيْضًا». (التكوين 38: 26).

إذن فقد كان المقدّس يهوذا يرى أن هذه المرأة الزانية أبر منه. على كلٍّ نحن لا نستطيع مجادلته في رأيه فهو أدرى بأخلاقياته منا، ولكن الكاتب المقدّس أفادنا أفاده الله أن السيد يهوذا تكرّم فلم يعد يعرفها، أي أنه كان قديسًا طاهرًا وبمجرد علمه أن هذه المطية الرائعة كانت مطيةً لإبنيه من قبله، قرر بكل شهامةٍ أن يكتفي بإحبالها فقط ورفض أن يعتليها مشكورًا مرةً أخرى، وتنجب الزانية ثامار توأمًا «فارص» و«زارح»، ومن فارص هذا جاء السيد المسيح.

وكانت هذه آخر مغامرات الأسرة الطاهرة في أرض كنعان حيث يستدعيهم يوسف إلى أرض مصر في مشهدٍ دراميٍّ مؤثر، ولأن المصري القديم كان يعتبر راعي الغنم نجسًا لذا فقد أسكنهم يوسف في أرض جاسان التي هي محافظة الشرقية الحالية بعيدًا عن المصريين،- وكان المصري يحتقر البدو الرحل ورعاة الأغنام حتى أن يوسف وهو في قمة مجده لم يستطع أن يُجلس أبوه وإخوته على مائدةٍ واحدةٍ مع المصريين- وهو ماعبرت عنه التوراة بصراحةٍ قائلة:
«لأَنَّ الْمِصْرِيِّينَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَأْكُلُوا طَعَامًا مَعَ الْعِبْرَانِيِّينَ، لأَنَّهُ رِجْسٌ عِنْدَ الْمِصْرِيِّينَ». (التكوين 43: 32).
أما عن عدد اليهود النازحين إلى مصر فتقول التوراة:
«جَمِيعُ نُفُوسِ بَيْتِ يَعْقُوبَ الَّتِي جَاءَتْ إِلَى مِصْرَ سَبْعُونَ». (التكوين 46: 27).

يوسف يقطن مصر، بريشة تيسو

ويموت يوسف في أرض مصر الذي كان وجوده على قمة السلطة فيها يعطي لليهود بعض الحماية بل والنفوذ أيضًا والذي زال بموته بل وتحول اليهود إلى عبيدٍ للمصريين، ونعتقد أن المصريين لم يحبوا يومًا يوسف كحاكمٍ سلبهم أرضهم وحولهم إلى عبيدٍ لحاكمٍ أجنبي، وبالتالي فبموته انقلب المصريون على أهله ربما بالتدريج حتى أخضعوهم وسخروهم للقيام بالأعمال الدنيا كخدمٍ وعبيد، أكرر حين كان أجدادنا العظام أسياد الدنيا كان اليهود مجرد جزءٍ من العبيد التابعين لأجدادنا، إلى أن ظهر على مسرح الأحداث موسى النبي أشهر رسل اليهود وكاتب التوراة ومخلص اليهود ليصبح بطلًا لأشهر الرحلات في التاريخ، رحلة خروج اليهود من مصر وما أحاط بها من أساطير حولتها من قصة هروبٍ لبعض العبيد من أسيادهم إلى قصةٍ للصراع بين الكفر والإيمان، الكفر الذي يمثله في هذه القصة الجانب المصري المتسيد والإيمان المتمثل في مجموعة العبيد الهاربين الذين استطاعوا – بمهارتهم وغبائنا – أن يصوروها على أنها هجرةٌ مقدسةٌ من أرض الكفر إلى أرض الميعاد الرباني...!

مجلة توثيقية علمية إلحادية

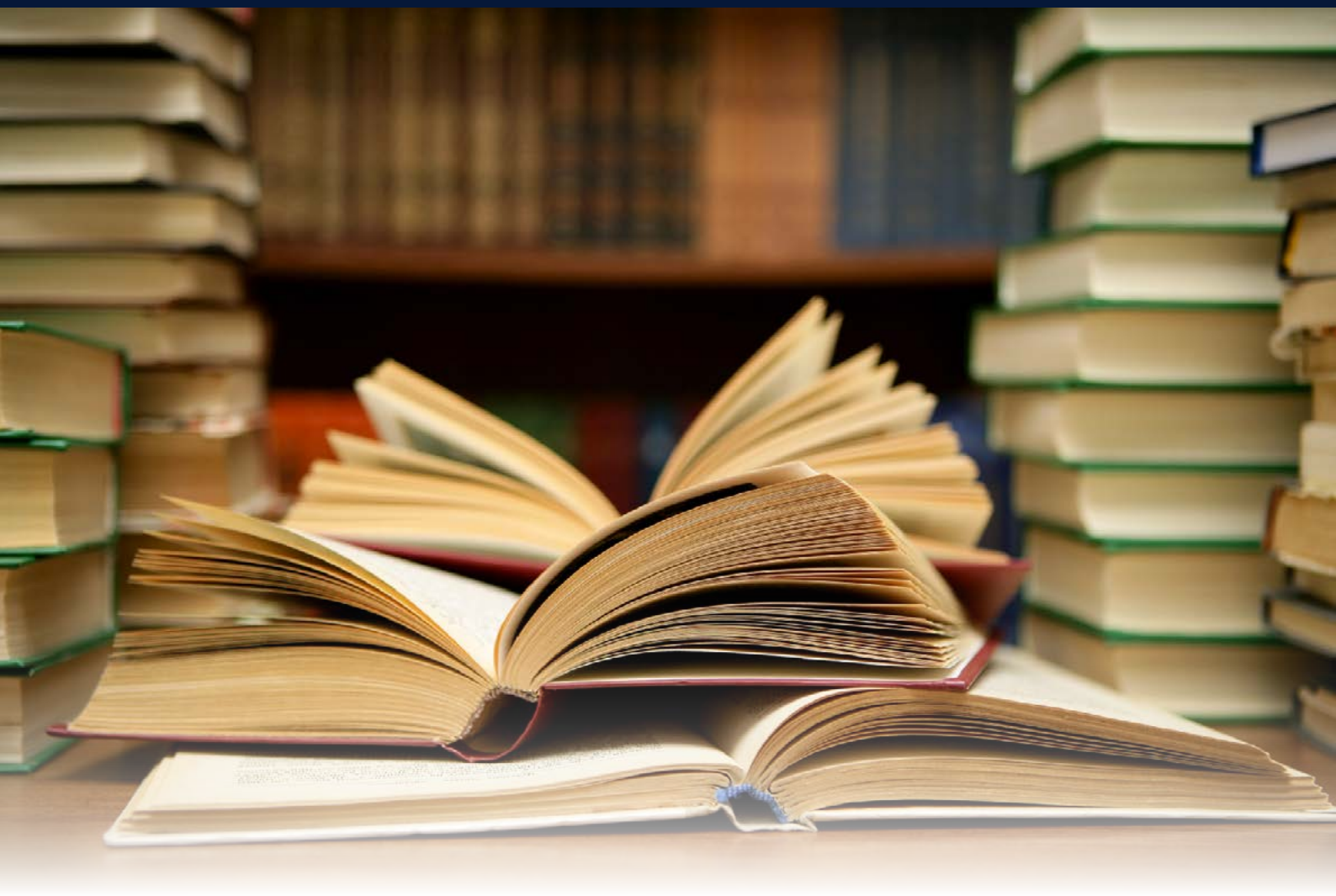

شاركنا موضوعاتك و كتاباتك لتصل للقراء

هدفنا توثيق الكتابات و التوعية و نشر الفكر المتحضر

موضوعاتنا علمية ، دينية ، ثقافية

مجلة الملحدين العرب

معاً نحو مستقبل منير

http://arabatheistbroadcasting.com/aamagazine

https://www.aamagazine.blogspot.com

https://www.facebook.com/pages/AAMagazine/498136386890299

https://issuu.com/928738

حركت ريشتي على لوحة استذكار رحيل إنسانٍ رائعٍ وعيد ميلاد مجلته فتكلّمَت بصمتٍ ولم تخيب أملي

لوحة زيتية بريشة رغد عقيلي 29سمx39.8سم

لوحة الغلاف:
سبع سنوات على إنشاء المجلة

رغد عقيلي

أهدي لوحة عيد الميلاد السابع لمجلة الملحدين العرب لذكرى الصديق الفقيد وأحد مؤسسي المجلة الذي استعمل الاسم الحركي (جون سيلفر). أحببت أن أشرح بعض الأمور المتعلقة بأسباب تصميمي للوحة الغلاف لعدد 85 الجديد ومايلي أهمها:

أول صورةٍ تبادرت إلى ذهني عند تصميم لوحة الاحتفال بعيد ميلاد المجلة السابع كان جمعًا بين فكرتين، ذكرى رحيل جون سيلفر مع ذكرى إنشاء مجلة الملحدين العرب في عيد ميلادها السابع، أما باقي الأفكار فقد تتالت بناءً على هاتين الفكرتين الأصليتين.

شرح تفاصيل اللوحة:

1- أردت أن أوحي بغياب جون سيلفر، فصممتُ وجهه بألوانٍ باهتةٍ زرقاء في زاوية اللوحة، يشرف على ما يجري، ينعكس غروب الشمس على سماته. فمع أنه قد أصبح من الماضي ولم يعد بيننا ينيرنا بوجوده وبأفكاره الرائعة، إلا أن أثره ما زال موجودًا في حاضرنا وماضينا ومستقبلنا، ومهما مر من الزمن على رحيله لن يصبح من الماضي.

2- هدفي من رسم ذقن جون مرتكزًا على جانبٍ من صفحات المجلة كان لتعزيز فكرة دوره الكبير في نجاح المجلة واستمرارها والجهود التي بذلها قبل رحيله المبكر جدًا. رسمت عيني جون تتجه نحو الأفق وصفحات المجلة تتطاير أمامه متأملًا بعيونٍ قلقةٍ حازمةٍ ومصرّة.

رسمتُ صفحات المجلة تتناثر بعيدًا، واحدةً تلو الأخرى، تشكّل سرابًا، توحي أو تعبّر عن انتشارها عبر الفضاء في العالم الافتراضي.

3- صممتُ الكرة الأرضية على أن تشكل الواجهة الخلفية من اللوحة لتجمع ما يجري من أفكارٍ في الرسمة، والسبب هو أني احتجت للشكل الدائري للتصميم وبنفس الوقت استخدمت الفكرة لتعبّر عن استمرارية الأرض، بيتنا الوحيد.

4- من الناحية اليمنى من اللوحة رسمتُ تدرج أعداد السنين ابتداءً من نقطة الصفر وانتهاءً بالسنة السابعة من عمر المجلة.

5- أردت من قيامي بإضافة رسم القمر الصناعي في الجهة اليمنى التعبيرعن هدفين؛ الأول، أملي وتطلعي لمستقبلٍ متطورٍ لشعوبنا المتأخرة حاليًا والتي سبقتها الدول الأخرى في كل مجالات العلم والاختراعات والتكنولوجيا الحديثة، والثاني هو التأكيد على دور الاتصالات في وجود الإنترنت، والتي لولاها لما تواجدت مجلتنا الإلكترونية، وما كان من

رغد عقيلي

لوحة الغلاف:
سبع سنوات على إنشاء المجلة

الممكن لنا كملحدين عرب أن نجتمع.

6- لكي أوازن اللوحه تصميميًا وشكليًا، فقد أضفت الحلزون المزدوج (الدنا) وجعلته وكأنه يدور ويلتف حول الأرض وذالك لكي يتوازن مع الشكل المقابل له، مع حلزون دوران سنين عمر المجلة حول الأرض من الناحية اليمنى. أما من الناحية المعنوية فأنا أعتبر أن الحلزون المزدوج يحمل نواة الحياة وذلك لما فيه من تعليماتٍ وراثيةٍ لتطوير جميع الكائنات والفيروسات وكل وظائفها وعملها ونموها وتكاثرها.

7- جعلتُ رقم «سبعة» الأكبر في الحجم مرتكزًا على شمعدانٍ يضيء منتصف اللوحة ووجه جون احتفالًا بالعيد.

8- خدم الشمعدان فكرتين؛ ارتكاز رقم سبعة وبنفس الوقت حمل ميزان صحة القوة الفكرية بين التابعين وبين رافضي التبعية.

9- تخدم الأبنية المدنية في خلفية اللوحة أغراضًا تصميميةً ومجازية.

10- احتجت للشكل المثلثي للمدينة من أجل توازن تصميم اللوحة ومن خلاله أردت أن أعبر عن تمنياتي ببناء مدينةٍ عامرةٍ يعمها الانسجام والتطور والتقدم، خاليةٍ من صراعات الأديان المسبِّبة للخراب والعنصرية المادية والمعنوية بين أتباع الأديان المختلفة.

11- أما الميزان فقد صممتُه مائلًا بثقل، وهذا الثقل على شكلٍ دائريٍ يعبر عن رجاحة وأهمية الانسجام العقلي المعتمد على الرشد والمنطق والواقعية الصائبة بالمقارنة مع خفة الطرف الآخر المعاكس الذي يؤدي إلى عدم الانسجام الفكري، معتمدًا على العواطف والإيمان الأعمى مؤديًا لتناثرٍ في جهاتٍ منعكسة.

12- اخترت جو اللوحة مخمليًا ناعمًا خافتًا ومتدرجًا في الألوان، ينيره شعاع شمعة العيد الخافتة، وكان هدف ذلك هو خدمة السبب في تصميم اللوحة ألا وهو عيد ميلاد المجلة.

أحاديث رجل الكهف

The Caveman Talks

قناة «أحاديث رجل الكهف» على اليوتيوب تهدف إلى مساعدة الشباب الناطق بالعربية، التائه في بحرٍ من الثقافة الاستهلاكية على بناء عقليةٍ نقديةٍ مثقفة عقلانيةٍ مستقلة، ومحاولة تبسيط العلوم والبحث في مختلف أنساق المعرفة الإنسانية.

عسى أن يكون هذا الجهد بمثابة إنارة شمعةٍ في ظملمات الجهل الثقافي الذي يعيش فيه الشارع الناطق بالعربية

YouTube™

الأثر السلبي لمناهج التفكير الدينية في سياق المعرفة البشرية

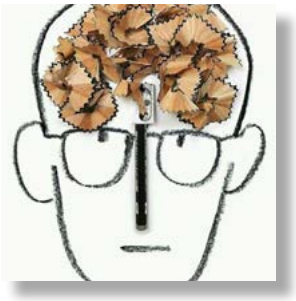

راوند دلعو

لم تكن انطلاقة الثورة العلمية الحديثة بحاجةٍ إلى الإضافات المعرفية المتواضعة التي أُنجِزَت في عهد سيطرة الدُّوَل ومناهج التفكير الدينية (إسلامية، ومسيحية، وبوذية) خلال القرون الوسطى، فلو حذفنا جميع المنجزات المعرفية الخجولة التي أضيفت إلى الرصيد المعرفي الإنساني في ظل سيادة الدولة الدينية، لما تأثَّرَت الحصيلة المعرفية للجنس البشري إلّا بشكلٍ طفيف.

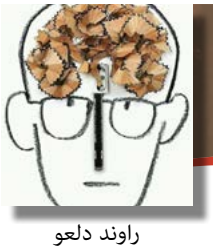

الأثر السلبي لمناهج التفكير الدينية في سياق المعرفة البشرية

راوند دلعو

بل على العكس تمامًا، فلولا القرون الوسطى التي سيطر فيها الدين كلاعبٍ أساسيٍّ على مسرح الفكر الإنساني، لتحرر العقل في وقتٍ أبكر، ولَتبلورَت الثورة العلمية وانطلقت بشكلٍ أسرع بكثيرٍ، ولكُنَّا اليوم نتمتع بسقفٍ معرفيٍّ أعلى بكثيرٍ مما نحن عليه، لأن تحرير العقل من براثن الموروث والخرافة سيجعل مسألة اختراع صفر الخوارزمي مجرد نصف ساعةٍ من التأمل والتفكير المنطقي. فتأخُّرْ ميلاد الثورة العلمية الحديثة إنّما كان بسبب الوقت الذي أهدرته البشرية وهي تحاول محو واجتثاث العقلية الدينية ومنهجياتها اللاعقلانية ومفاهيمها الخاطئة التي سيطرت على الفكر الإنساني في القرون الوسطى. فقد كبّلَتْ المناهج المعرفية الدينية العقل وسَلسَلته برجعيَّتها وآليَّتها السلبية البعيدة عن الواقع، فشَلَّت حركته وأصابته بإعاقةٍ على مستوى الوعي والتفكير.

غاليليو وڤيڤياني، بريشة لِسّي

ومن سوء الحظ، لم تكن الحرب التي شنها الدين على العلم حربًا سلبيةً قائمةً على ترسيخ الجهل البسيط، أي سلب المعرفة فقط، بل كانت حربًا خبيثةً إيجابيةً قائمةً على التجهيل المُركَّب، أي تشويه المعارف، وزرع المفاهيم الخاطئة في عقول الأجيال وتحريف المصطلحات الأساسية، مما أصاب الوعي البشري بعجزٍ كبيرٍ وضبابيةٍ رهيبةٍ وانتكاسةٍ لا سابق لها. فلَم يكتَفِ الدين بمحاربة العلم ومنع انتشاره فقط، بل قام بتشويه معنى كلمة (علم) ورديفاتها من خلال نشر وزرع المناهج اللاعلمية وتسميتها زورًا بالمناهج العلمية، فباتت كلمة علمٍ تُطلَق على ممارسات الكهنة وشعوذات الدجاجلة مما هو ليس بعلمي. فما حصل في القرون الوسطى هو عملية تشويهٍ منظمٍ لطرائق المعرفة وتدنيسٍ مقصودٍ لينابيعها الفطرية، فأصبح يُقصَدُ بكلمة (علم) أنواعٌ من التنجيم والعرافة والرواية والحكاية والأسطورة، فغاب العلم الحقيقي الواقعي التجريبي وتعطّل المنطق العقلي الحر لآلاف السنين من خلال سيادة المناهج الدينية التي تُقدّم النقل على العقل، والأسطورة على المختبر، والخرافة على الواقع. فبات لكلمة (علم) مدلولٌ كهنوتيٌّ لا يمت بصلةٍ للعلم الحقيقي. أما العلم الحقيقي التجريبي فبات يُطلَق عليه ألفاظٌ تشيطنه كالزندقة حينًا والدهرية أحيانًا والهرطقة أو الإلحاد أحيانًا أخرى. وصار العلم التجريبي تهمةً تودي بصاحبها إلى الإعدام! فاختلطت المصطلحات وصُودِر العلم الحقيقي وأُهرق في مجاري المعابد، بينما تسيَّد المشعوذون المجالس يمارسون دجلهم تحت مسمى (نشر العلم)! ودخلت البشرية تحت نير الدولة الثيوقراطية في سباتٍ علميٍّ رهيب، واستمر الوضع على ذلك إلى أن جاء عصر التنوير في أوروبا الغربية، والتي كانت أول بقعةٍ جغرافيةٍ على سطح الأرض تفلت من مخالب الدين وتتحرر من سلطة الكنيسة، فأُعيد

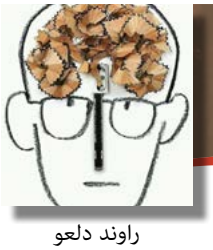

الأثر السلبي لمناهج التفكير الدينية في سياق المعرفة البشرية

راوند دلعو

للعلم تعريفه الصحيح ورُدَّت للباحث التجريبي هيبته وللمختبر مكانته، وتم تصحيح المصطلحات فسُمِّيت الخرافة بالخرافة والعلم الحقيقي بالعلم.

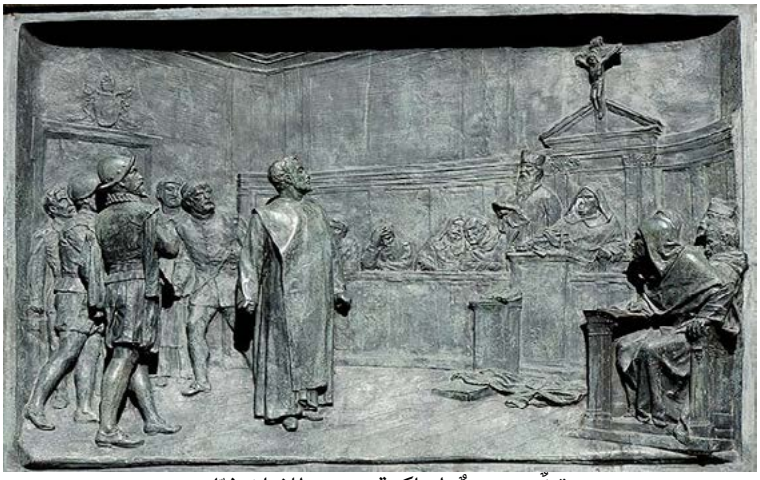

نقشٌ برونزيٌ لمحاكمة برونو، للفنان فرّاري

عزيزي القارئ: أرجو أن تقف دقيقة صمتٍ احترامًا للذين ضحوا بحياتهم كي يعيدوا للعلم تعريفه الحقيقي ومكانته الريادية ويقضوا على الخرافة والأسطورة، لاسيما كوبرنيكوس وغاليليو وبرونو وبن فرناس ومن ساروا على دربهم. وبالتالي لو قمنا بقص فترة القرون الوسطى من شريط التاريخ البشري ومن ثَمَّ افترضنا انطلاق الثورة العلمية الحديثة من سقف المحتوى المعرفي لعصر اليونان، لزاد ذلك من سرعة التحضر بشكلٍ صاروخيٍّ ولأُحدِثَت كل إنجازات القرون الوسطى خلال عدة سنواتٍ فقط، ولاختصرنا أطنانًا من الدماء التي سُفِكت والموارد البشرية التي أُهدِرت خلال الحروب الدينية التي سيطرت على الكوكب في عصر سيادة الأديان. فتحرير العقل من براثن المنهجية الدينية الأسطورية هو الركيزة الأولى وكلمة سر الانطلاقة الرهيبة المتسارعة للحضارة العلمية الحديثة. أما من يحاول أن يصور القرون الوسطى على أنها درجةٌ على سُلّم العلم ونقلةٌ إيجابيةٌ موطِّئةٌ لافتتاح عصر العلم، ثم يدَّعي بأن الحضارة الغربية اعتمدت على ما قدَّمَتهُ الدُّول الدينية الثيوقراطية لاسيما الإسلامية أثناء سيطرتها على الكوكب في القرون الوسطى، فهو واهمٌ ويتحدث دونما دليلٍ، بل يتحدث بدافع العاطفة الدينية اللاعقلانية المتحيزة. فالعصور الدينية الوسطى كانت بمثابة العقبة الكأداء في وجه مسيرة العلم والتطور وتحرر العقل، بل لم يقف العقل البشري على قدميه مجددًا إلا بزوال العصور الوسطى وتنحّي الدين عن قيادة الحياة الفكرية بشكلٍ كلي. ومع العلم بأن معظم ما تم إنجازه من محتوًى علميٍّ رصينٍ، على نُدرته، في ظل الدُّوَل الدينية القروسطية الإسلامية، إنما أُنجِزَ بعيدًا عن المساجد والأوساط الدينية ودون موافقة الشيوخ من رجال الدين وعلى أيدي علماء غير متدينين بل زنادقةٍ أو ملاحدةٍ يعيشون في الهامش والظل في كثيرٍ من الأحيان، ويناوئون الظاهرة الدينية أحيانًا.

ولا أكون مبالغًا إن قُلتُ بأن الكمية الضئيلة من العلم الحقيقي التي تم اكتشافها خلال القرون الوسطى إنما تمت لأنها نجَت من الحرب التي شنها الدين، لا سيما الإسلامي والمسيحي، على العلم والعلماء التجريبيين وعلى جميع بؤر ومراكز البحث العلمي. فما وَصَلَنَا من علمٍ حقيقيٍّ تم اكتشافه في ظل الدولة الدينية الإسلامية والمسيحية لم يكن إنجازًا إسلاميًّا ولا مسيحيًّا بتوجيهٍ من المنهجية الفكرية الدينية، بل وصلنا بالرغم من الحرب الشعواء التي قادها الدين ومناهجه الأسطورية الخرافية ضد العلم وأدواته ومناهجه التجريبية.

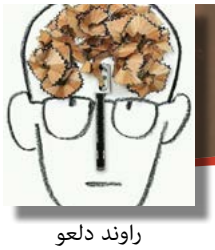

الأثر السلبي لمناهج التفكير الدينية في سياق المعرفة البشرية

راوند دلعو

فعطَّلَ الدين بتلك الحرب مسيرة العلم لآلاف السنين ووصلنا من العلم النذر اليسير فقط. فالدعوة للقراءة «اقرأ»، على سبيل المثال، والتي يتبجَّحُ أتباع الأديان بأن أديانهم حضَّت عليها، وخاصةً المسلمين، إنما هي القراءة الكهنوتية للنص الديني وملحقاته من الأساطير والخرافات والروايات والحكايات ومباحث الطهارة والغسل والجنابة والنكاح. فلم تكن الدعوة إلى قراءةٍ علميةٍ بل دعوةٍ إلى القراءة باسم الآلهة «اقرأ باسم ربك» أي اقرأ بطريقةٍ كهنوتيةٍ موجهةٍ وفق منهجيةٍ لاعلمية. فهذا النص القرآني ليس دعوةً للقراءة وإنما مؤامرةٌ على مفهوم القراءة الحرة العقلانية، وخدعةٌ خبيثةٌ لإسباغ لهجة الحض على القراءة في حين أنها في الواقع محاربةٌ للقراءة.

أما كلمات من مثل (بحث - فقه - تحقيق) والتي ترددت بكثرةٍ في أدبيات الديانات الإبراهيمية، لاسيما الإسلام، فيُقصد بها مطالعة المحتوى الخرافي الكهنوتي وتبويبه وشرحه واختصاره وتحقيقه واجتراره في المطولات الصفراء التي لا تمت للعلم الحقيقي بِصلة. أما القراءة العلمية الحرة العقلانية واستراتيجيات النقد العلمي المنهجي، فكانت عبارةً عن ممارساتٍ محظورةٍ ممنوعة، بل داخلةٍ في سياق الهرطقة والزندقة والمروق والإلحاد، حيث تَمّ إعدام وملاحقة كبار العلماء التجريبيين الذين مارسوها كابن رشدٍ وابن المقفع وابن الطفيل وابن الراوندي والرازي وابن سينا وابن فرناس وغاليليو وكوبورنيكوس وبرونو وغيرهم.

وبناءً عليه، ليس من العدل أن ننسب الإنجازات العلمية التجريبية التي تمت في ظل الدولة الدينية إلى ديانة الدولة، أي ليس من العدل أن ننسب الإنجازات العلمية التجريبية التي تمت في ظل الدولة الإسلامية إلى الإسلام.

الحق الحق أقول لكم، إنه ليس من العدل نسبة الإنجاز العلمي الحادث ضمن إطار زمكان الدولة الدينية إلى ديانة الدولة، فمجرد حدوث الكشف العلمي ضمن جغرافية الدولة لا يشرعن لنا نسبته إليها إن لم يكن متفقًا مع منهج الدولة في تعريفها للعلم، ومنسجمًا مع ما تقرره من طرائق للكشف المعرفي.

فمن الظلم والتزوير والخطأ التاريخي أن ننسب الاكتشافات العلمية التجريبية التي حدثت في القرون الوسطى لما يسمى زورًا بالحضارة الإسلامية أو الحضارة المسيحية أو الحضارة البوذية أو الحضارة الهندوسية. فلا وجود لما يسمى بالحضارة الإسلامية أو الحضارة المسيحية أو الحضارة الهندوسية لأن مناهج التفكير الإسلامية والمسيحية والهندوسية لا تتفق مع المنهج العلمي التجريبي ولا تحض عليه بل تحرمه وتمنعه وتحارب أتباعه وتصفهم بالهرطقة والكفر. فهذه

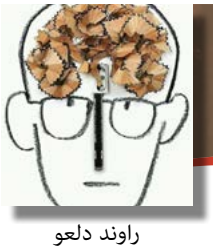

الأثر السلبي لمناهج التفكير الدينية في سياق المعرفة البشرية

راوند دلعو

الأديان عبارةٌ عن أيديولوجياتٍ قدّمت تشريعاتٍ كالتشريع الإسلامي والتشريع المسيحي، وليست حضاراتٍ قدمت علومًا وكشوفاتٍ وفنونًا وهندسات. ومن أراد أن يتأكد من صحة كلامي، فليراجع كتب التاريخ والجرح والتعديل عند المسلمين مثلًا، حيث تم تكفير الغالبية العظمى من العلماء التجريبيين الذين اشتغلوا بالطب والرياضيات والكيمياء والعلوم والصيدلة والفلسفة والجغرافيا والموسيقى، كما تمّ ذمهم والقدح فيهم ووصفهم بأبشع الألفاظ والصفات، وتم إحراق كتبهم وطمس علومهم إلّا من رحمَ ربي مما تم نقله وتهريبه سرًّا. كما تم تحريم الكيمياء والفيزياء والفلسفة والعلوم الطبيعية والموسيقى والفن صراحةً، وباتت تعبير (طلب العلم) يعني علوم الشريعة واللاهوت والزهد والتنسُّك حصرًا.

ومن هنا، أنا ضد مصطلح «الحضارة الإسلامية» أو «الحضارة المسيحية» أو «الحضارة البوذية»، فلا وجود لهكذا حضارات، لأن هذه الكيانات الدينية عبارةٌ عن أيديولوجياتٍ سيطرت خلال فترةٍ معينةٍ بالسيف فصبغت مساحةً جغرافيةً معينةً في وقتٍ معين، وليست حضاراتٍ بالمعنى الاصطلاحي للحضارة التي تبني الإنسان، حيث أنها لم تقدم شيئًا لمسيرة التحضر البشري باستثناء الكثير من الحروب الطائفية وبعض المواد التشريعية الدينية البدائية التي لو بحثنا فيها بعمقٍ للاحظنا أنها مأخوذةٌ من الشرائع التي انتشرت في الهلال الخصيب ومصر واليونان في العصور القديمة، كشريعة حمورابي وموسوعة جوستنيان في القانون الروماني وغيرها.

والحق الحق أقول لكم، فلنعطِ كل ذي حقٍّ حقه، ولننسب منجزات العلم التجريبي للعلماء التجريبيين الحقيقيين الذين كانوا لادينيين أو غير مكترثين بالظاهرة الدينية في الغالب المعظم. أما أن ننسب إنجازات البحّاثة التجريبيين، الذين ألقتهم الصدفة التاريخية والجغرافية في القرون الوسطى يرزحون تحت حكم الكهنوت، للأديان التي حاربتهم وضيقت عليهم وحاربت علومهم، فهذا ظلم كبيرٌ كبيرٌ وإجحافٌ خطيرٌ خطيرٌ وتزويرٌ رهيبٌ رهيب. فمن غير المنطقي أن ننسب إنجازات العبقري أبي بكرٍ الرازي للإسلام في حين أن مشايخ الإسلام كفّروه ولاحقوه وعذبوه باسم الإسلام واستنادًا على نصوصٍ إسلاميةٍ مقدسةٍ تدعو لقتل المرتد الخارج عن النمط الإسلامي في التفكير، ذلك النمط الذي يقدم النقل على العقل.

ومن غير المنطقي أن ننسب أدب ابن المقفع وابن الطفيل للإسلام في حين أنهما كُفِّرا وحُورِبا ثم قُتِلا بترخيصٍ وتوجيهٍ من نصوص الإسلام. ومن غير المنصف أن ننسب إنجازات غاليليو للمسيحية، لأنه كُفِّر وحورِب باسم المسيحية. فما قدمه الإسلام للبشرية هو كتب الفقه الإسلامي فقط، والتي تتحدث عن الطهارة والصلاة والصيام والحج والنكاح والطلاق

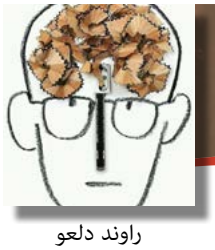

راوند دلعو

الأثر السلبي لمناهج التفكير الدينية في سياق المعرفة البشرية

والتفسير والميراث والحديث والرواية وتفسير الأحلام، وباقي أبواب الفقه وأصول الدين المعروفة في الموسوعات الفقهية والمراجع الدينية، وما قدمته المسيحية للبشرية هي كتب اللاهوت وشروحات الإنجيل وأعمال الرسل وغيرها من الرسائل الأسطورية. أما ما تم إنجازه من علومٍ تجريبيةٍ في ظل الحكومات الدينية الإسلامية والمسيحية، فيجب أن يُنسَب لرواد المنهج العلمي التجريبي الذي بدأ تأسيسه في اليونان القديم ثم أصيب بالشلل والانتكاس في القرون الوسطى بسبب سيادة المناهج الدينية في التفكير، ثم عاد للحياة على أيدي أبطال عهد النهضة والثورة العلمية العظيمة التي حدثت في أوروبا الغربية. فيجب إسقاط هذه المصطلحات الكاذبة مثل مصطلح «الحضارة الإسلامية» و«الحضارة المسيحية»، فالحضارة عالميةٌ علميةٌ عابرةٌ للعصور لا تتأطر بالأديان، وقودها العلم الحقيقي والانتماء للإنسان بعيدًا عن طائفية الأديان ومناهجها المعرفية المتخلفة القائمة على الخرافة.

هامش (1):

لا يصح نسبة ما تم إنجازه من علومٍ في العصر الحديث للديانة المسيحية بحجة أن الرجل الغربي مسيحيٌّ في الغالب، وذلك لأن الثورة العلمية حدثت بعد إقصاء الكنيسة ومناهجها في التفكير من الساحة السياسية والفكرية. وكذلك لا يصح نسبة ما تم إنجازه واكتشافه من علومٍ تجريبيةٍ في عهد سيطرة الإسلام إلى الديانة الإسلامية، وذلك لأن مشايخ الإسلام في القرون الوسطى كانوا قد حَرَّمُوا العلوم التجريبية ولاحقوا ممارسيها استنادًا على نصوصٍ إسلاميةٍ وبأمرٍ من الخليفة والسلطان (راجعوا إحياء علوم الدين للغزالي).

هامش (2):

كفانا افتخارًا بماضينا! لأنه من الناحية العلمية عبارةٌ عن هامشٍ خجولٍ على صفحة المعرفة البشرية التي ابتدأت حقيقةً في الهلال الخصيب (بلاد الرافدين) ومصر القديمة والصين القديمة ثم انتقلت إلى اليونان، وبعد اليونان نامت ثم نامت ثم غطّت في نومٍ عميقٍ طيلة القرون الوسطى إلى أن استفاقت مع سقوط تفاحة نيوتن وخربشات رينيه ديكارت أثناء تأسيسه لمنهج الشك. ولو مزقنا صفحة القرون الوسطى من تاريخ الجنس البشري لما تضررت المسيرة المعرفية لهذا الجنس البشري تضررًا كبيرًا، بل لتجاوزنا أفكارًا أثبت الزمن أن ضررها أكبر من فائدتها، ولوفرنا أطنانًا من الدماء التي سُفكت من أجل أفكارٍ مضحكةٍ في كثيرٍ من الأحيان.

https://www.facebook.com/groups/arbangroup/

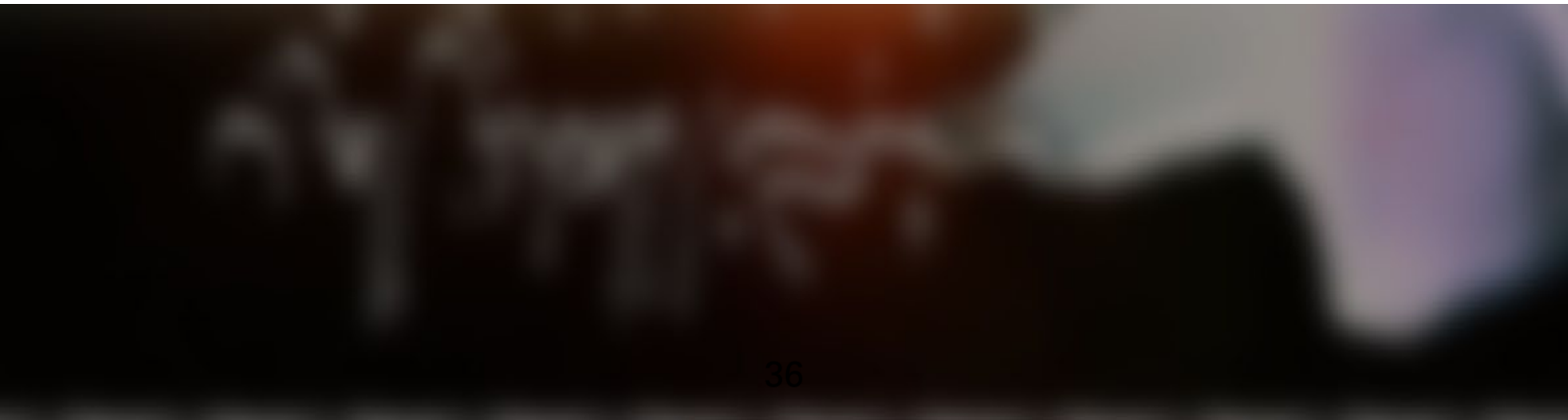

صفحة ثابتة
نقدم فيها قراءة
لأحد الكتب
القيمة

قراءة في كتاب

هيثم الأخرس

كتاب

«فترة التكوين في حياة الصادق الأمين»

خليل عبد الكريم

بقلم هيثم الأخرس

فترة التكوين في حياة الصادق الأمين

خليل عبد الكريم

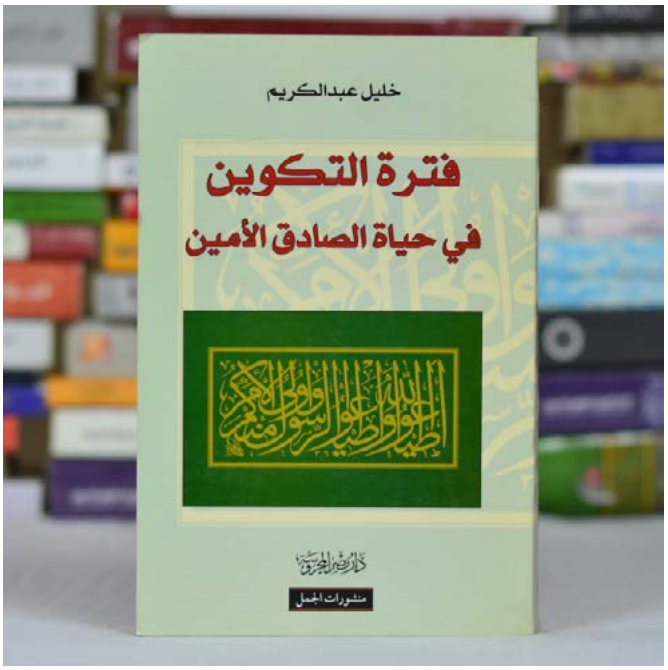

دراسةٌ فريدةٌ من نوعها، جديدةٌ في طرحها، تتحدث عن المرحلة التي كوّنت وعي النبي محمد، قبل إعلان الدعوة وحتى لحظتها، والدور المحوري والجوهري والرئيسي الذي لَعِبته سيدة نساء قريشٍ خديجة التي قدّمت نفسها ومالها ولم تعبأ بفارق السن، وكيف انتقلت من مرحلة الفرز والاختبار إلى مرحلة الإعداد والشحن والتعبئة والتهيئة واستغرقت 15 سنةً، وكيفية تشكيلها مع ابن عمها القس ورقة بن نوفلٍ الحلقة الداخلية في مدرسة الإعداد، والراهب بحيرى والراهب عداسٍ والراهب سيرجيوس الحلقة الخارجية للإعداد، للتجربة الروحية التي جاء بها النبي محمد.

يقول المؤلف: «طالما نادينا بضرورة دراسة السيرة المحمدية المعطار والحقبة الخليفية بل وسائر مقاطع التاريخ الإسلامي دراسةً منهجيةً موضوعيةً تنأى بها عن الدروشة والشطحات والماورائيات أو تعليل الأحداث بطريقة الوعّاظ وأئمة المساجد وخطباء المنابر».

وينقل ويُثبت صاحب كتاب «فترة التكوين في حياة الصادق الأمين» أن خديجة بنت خويلدٍ رغبت بالزواج من محمدٍ الذي تكبره بأكثر من عشرين سنةً، فهي كانت تناهز النيف والأربعين بينما كان محمدٌ في الحادية والعشرين. ولم يكن رغبةً منها في الشباب والقوة التي يمتلكها راعي عبد المطلب أو للأمانة التي يمتلكها، وإنما حديثٌ طويلٌ يذكره مفصلًا من أيام عبد الله أبيه، وتنبؤ النصرانية بالمنتظر الذي سيُبعَث من قريش، وقصته مع الأسديات اللاتي عرضن أنفسهن عليه وكذلك الخثعمية. فخديجة اختارت محمدًا لأنها وجدت بفراستها أنه هو من سيُبعَث مستقبلًا وبدا ذلك يتأكد لها عندما نقل لها ميسرةُ غلامها الذي رافقه في التجارة عن تضليل الغمام له. كما يذكر أن خديجة كانت تقرأ ما يترجمه القس ابن عمها ورقةُ من الأناجيل إلى العربية. وسُمِّيَت خديجة بالطاهرة قبل وبعد الإسلام ولذلك مدلولٌ على مكانتها وقيمتها الروحية. ثم ينتقل المؤلف إلى ما بعد تزويج محمدٍ من خديجة، ويقول: «لم تُشِر كتب السير أن محمدًا بعد تزويجه سافر

فترة التكوين في حياة الصادق الأمين

خليل عبد الكريم

أو عمل بالتجارة، بل تذكر مباشرةً أنه يتعبد في غار حراء». ويذكر صاحب الكتاب أن محمدًا كان يختلي ليلًا مع خديجة بمفردهما أو أحيانًا مع ابن عمها ورقةٍ ليتناقشوا حول ما يترجم ورقةٌ وعن أحوال كُتب التوراة والأناجيل. ونهارًا يسير محمدٌ في الأسواق ويحضر نقاشات المِلَل والنِّحَل وخاصةً في سوق عكاظ. كما يثبت أن لذلك علاقةً بذهاب خديجة لورقةَ بعد رجوع محمدٍ من الغار أو إرسالها رسالةً إلى بحيرى الراهب في الشام وسؤاله عن جبريل.

ويشرح المؤلف بالتفاصيل والأدلة والشواهد التاريخية من أمهات المراجع الإسلامية الدور الذي لعبته خديجة في تجربة محمدٍ، التي لقّبها المؤلف بـ «الهندوز والطاهرة»، ومرافقتها له من لحظة حمل أمه به وإلحاحها في الزواج منه (لا بد أن أباعِله)، وتسخير كل إمكانياتها من أجل ذلك، ووضعِها كل ثروتها تحت يديه، ودعمها الدائم له في كل رؤياه من أجل إنجاح فكرتها وتصورّها ومشروعها فيه وحتى واقعة غار حراء (حرى)، إلى آخر يومٍ في حياتها.

وشرح الكتاب علاقتها بمجتمع نصارى الجزيرة العربية وزعمائهم - وميّز المؤلف بين النصارى والمسيحيين وأوضح الفروقات بينهم - وثقافتها الدينية والكتابية وتأثيرها عليها.

ويفصِّل في دور اليعسوب، القس ورقة بن نوفلٍ ابن عم خديجة، في إنجاح التجربة من بدايتها حتى وفاته، عندما فتر الوحي وفكّر محمدٌ في الانتحار برمي نفسه من أعالي الجبال.

وفصّل المؤلف في فصلٍ مستقلٍ موجبات اختيار (المنصور بالرعب) والظروف التاريخية العائلية والمجتمعية في مكة والجزيرة العربية التي ساهمت في اختياره دون غيره.

فترة التكوين في حياة الصادق الأمين

خليل عبد الكريم

ويسهب الكاتب في الفصل الأخير في شرح أطوار التجربة الكبرى وحرص أطرافها الثلاثة على سِرّيتها لضمان نجاحها ويُفصّل في تجربته في غار حرًى وما سبقها وتلازم معها وبعدها.

ولا يمكن لأي شرحٍ أن يفي الكتاب والمؤلف حقهما في هذا الفتح المعرفي الهائل والموثّق بمئات المراجع القديمة والحديثة التي ازدانت بها صفحاته الأربعمائة من مؤلفه الشيخ خليل عبد الكريم.
كتابٌ لا غنى عنه لكل من يريد أن يعرف حقيقة جذور التاريخ الإسلامي وفترة التكوين الأولى.

- خليل عبد الكريم، باحثٌ ومفكرٌ مصريٌّ قدّم مشروعًا نقديًّا للتاريخ يفوق من ناحية الإتقان تلك التي قدّمها محمد عابد الجابري وسيّد القمني بل وحتى جورج طرابيشي.

يمتاز أسلوبه في الكتابة بالرصانة والرزانة والهدوء والدقة وتجنب الابتذال والسخافة في الطرح، ولا أنسى تفنّنه في اختيار الكلمات وفذلكاته اللغوية خفيفة الظل بحيث لا يتسلل الملل إلى القارئ أبدًا، كذلك فهو لا يذكر شيئًا إلا ويذكر معه مصدره، وتنوعت كتبه بين التحليل النفسي اللساني كما في كتاب «العرب والمرأة - حفريةٌ في الإسطير المخيم» وهو كتابٌ جيد، إلى كتابه الضخم «شَدْو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة» في أكثر من 1000 صفحةٍ في 3 أجزاء، ويُعد هذا الكتاب مدخلًا ممتازًا للقارئ لفهم الحيثيات والظروف التي أحاطت بتأسيس الإسلام بشكلٍ شامل، وقد قسّمه إلى عدة أقسام (الأفق العقلي للصحابة - الأفق الحضاري - الأفق الاجتماعي - الاقتصادي ... إلخ).

ومن الحوادث الطريفة التي يرويها أن أحد الولاة قال لأحد الصحابة: سَلْ تُعطَ (مكافاةٌ على عملٍ قام به) فقال الصحابي: ألف دينار، فوبخه صحابيٌّ آخر كان واقفًا بجانبه قائلًا: لماذا لم تطلب أكثر؟ لماذا لم تقل ألف ألف دينار؟ فأجابه الأول: وما ألف ألف؟ ما كنت أظن أن بعد الألف عددًا! وفي الأفق الحضاري يروي أن الصحابة لما أسقطوا إمبراطورية فارسٍ وعندما أرادوا تصدير «الحضارة الإسلامية»، وجدوا في قصر كسرى

كتاب في قراءة

فترة التكوين في حياة الصادق الأمين

خليل عبد الكريم

خزائن من الذهب مرصعةً بالياقوت والزمرد وبداخلها مسحوقٌ أبيض، فوضعوا ذلك المسحوق في الخبز ظنًّا منهم أنه ملح! فكانت النتيجة أن الخبز أصبح مُر الطعم غير قابلٍ للأكل لأن المسحوق كان كافورًا وكان الكافور وقتها يُعد سلعةً نادرةً ثمينةً.

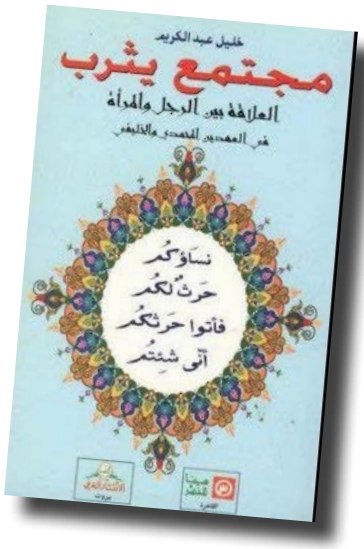

وباختصارٍ فإن جميع كتبه قيمةٌ جدًّا، وبقراءتها يكتسب القارئ دُربةً كبيرةً على التحليل النقدي للظواهر الثقافية التي تخص الدين، لا سيما فيما يخص واحدةً من أخطر المسائل في الإسلام وهي: إلى أية درجةٍ يمكن الوثوق بما نقله الرواة للبناء عليه؟

ومن كُتبه الأخرى «مجتمع يثرب» وكتابه الأخطر «فترة التكوين في حياة الصادق الأمين» وهو حفرٌ وتنقيبٌ في لُب الرسالة.

من نحن؟

نحن مجموعه من مسلمين سابقين ومسلمين بدرجات متفاوته من التدين.

ماذا نريد؟

نريد أن نجد الحقيقة، مهما كانت، و أن نحارب من أجل حقنا في اتباعها،

نريد أن نخلق مكانا آمنًا للناس ليتبادلوا فيه الأفكار التي تعلمنا ألا نتحدث عنها،

نريد أن نساند بعضنا ونساعد بعضنا على مواجهة أسئلة الأهل والمجتمع، وتكوين إجابات لها،

نريد أن نعطي اللادينيين (سواء ملحدين، ربوبيين أو غيرهم) في البلاد الإسلامية صوتًا لأنهم سيقتلون إذا علت أصواتهم.

muslimish | مسلمش

www.muslimish.com

facebook.com/groups/RadicalAtheists

ملحدون راديكاليون بلا حدود

حواريّة . لادينيّة . إنسانيّة

FAQ

#RA_FAQ
الأسئلة المتكرّرة

#RA_RT
الطاولة المستديرة

#RA_QUOTES
أفضل حكمة

#RA_BOM
كتاب الشهر

#RA_DEBATES

مناظرة

نقد كتاب اليهودية (التناخ) جـ 2:

الباب الأول: صورة الله في الكتاب اليهودي - القسم الثاني

ساطع البرهان في فضح الأديان

نقديةٌ لنصوص الأديان المقدسة

نستكمل في هذا العدد الحديث عن صورة الله كما تُستقى من النص، حيث نقدّم القسم الثاني من الباب الأول الذي نشرنا الجزء الأول منه في العدد الماضي.

راهب العلم

راهب العلم

نقد كتاب اليهودية (التناخ) جـ2:
صورة الله في الكتاب اليهودي

الله يندم!

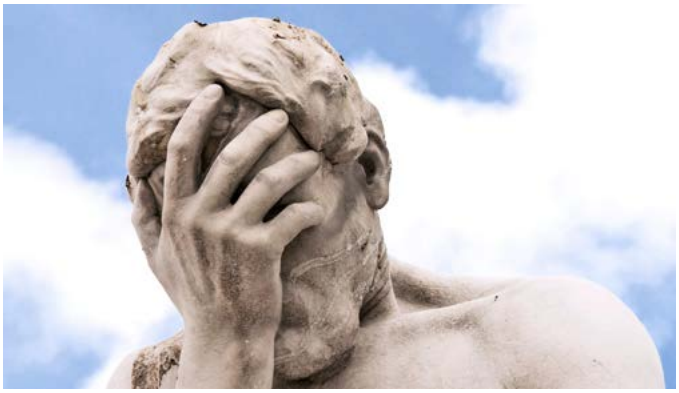

نصوص التوراة والكتاب اليهودي تقول أن الله يندم على أشياءَ يفعلها، كأنه لا يعلم الغيب والمستقبل ونتائج أفعاله، أو يوشك على فعل شيءٍ ثم يندم فلا يفعله. وهذا يتنافى مع العقل القائل إنه في حال وجود ذلك الرب المزعوم إن وُجِد فإنه ينبغي أن يتصف بالكمال والتنزه والسَلَمَ من كل عيبٍ ونقص.

«وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. فَقَالَ الرَّبُّ: أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ» (التكوين 6: 5-7).

«فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِهِ، وَقَالَ: لِمَاذَا يَا رَبُّ يَحْمَى غَضَبُكَ عَلَى شَعْبِكَ الَّذِي أَخْرَجْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَيَدٍ شَدِيدَةٍ؟ لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ الْمِصْرِيُّونَ قَائِلِينَ: أَخْرَجَهُمْ بِخُبْثٍ لِيَقْتُلَهُمْ فِي الْجِبَالِ، وَيُفْنِيَهُمْ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ؟ اِرْجِعْ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ، وَانْدَمْ عَلَى الشَّرِّ بِشَعْبِكَ. اُذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ عَبِيدَكَ الَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِنَفْسِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ: أُكَثِّرُ نَسْلَكُمْ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكُمْ كُلَّ هذِهِ الأَرْضِ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَنْهَا فَيَمْلِكُونَهَا إِلَى الأَبَدِ. فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ» (الخروج 32: 11-14).

«وَحِينَمَا أَقَامَ الرَّبُّ لَهُمْ قُضَاةً، كَانَ الرَّبُّ مَعَ الْقَاضِي، وَخَلَّصَهُمْ مِنْ يَدِ أَعْدَائِهِمْ كُلَّ أَيَّامِ الْقَاضِي، لأَنَّ الرَّبَّ نَدِمَ مِنْ أَجْلِ أَنِينِهِمْ بِسَبَبِ مُضَايِقِيهِمْ وَزَاحِمِيهِمْ.» (القضاة 2: 18).

«وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى صَمُوئِيلَ قَائِلًا: نَدِمْتُ عَلَى أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ شَاوُلَ مَلِكًا، لأَنَّهُ رَجَعَ مِنْ وَرَائِي وَلَمْ يُقِمْ كَلاَمِي. فَاغْتَاظَ صَمُوئِيلُ وَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ اللَّيْلَ كُلَّهُ» (صموئيل الأول 15: 10-11).

«وَلَمْ يَعُدْ صَمُوئِيلُ لِرُؤْيَةِ شَاوُلَ إِلَى يَوْمِ مَوْتِهِ، لأَنَّ صَمُوئِيلَ نَاحَ عَلَى شَاوُلَ. وَالرَّبُّ نَدِمَ لأَنَّهُ مَلَّكَ شَاوُلَ عَلَى إِسْرَائِيلَ». (صموئيل الأول 15: 35).

«وَبَسَطَ الْمَلاَكُ يَدَهُ عَلَى أُورُشَلِيمَ لِيُهْلِكَهَا، فَنَدِمَ الرَّبُّ عَنِ الشَّرِّ، وَقَالَ لِلْمَلاَكِ الْمُهْلِكِ الشَّعْبَ: كَفَى! الآنَ رُدَّ يَدَكَ. وَكَانَ مَلاَكُ الرَّبِّ عِنْدَ بَيْدَرِ أَرُونَةَ الْيَبُوسِيِّ» (صموئيل الثاني 24: 16).

راهب العلم

نقد كتاب اليهودية (التناخ) جـ2:
صورة الله في الكتاب اليهودي

«وَأَرْسَلَ اللهُ مَلاَكًا عَلَى أُورُشَلِيمَ لإِهْلاَكِهَا، وَفِيمَا هُوَ يُهْلِكُ رَأَى الرَّبُّ فَنَدِمَ عَلَى الشَّرِّ، وَقَالَ لِلْمَلاَكِ الْمُهْلِكِ: كَفَى الآنَ، رُدَّ يَدَكَ. وَكَانَ مَلاَكُ الرَّبِّ وَاقِفًا عِنْدَ بَيْدَرِ أُرْنَانَ الْيَبُوسِيِّ» (أخبار الأيام الأول 21: 15).

«فَنَظَرَ إِلَى ضِيقِهِمْ إِذْ سَمِعَ صُرَاخَهُمْ. وَذَكَرَ لَهُمْ عَهْدَهُ، وَنَدِمَ حَسَبَ كَثْرَةِ رَحْمَتِهِ» (مزمور 106: 44-45).

«لَعَلَّهُمْ يَسْمَعُونَ وَيَرْجِعُونَ كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ طَرِيقِهِ الشِّرِّيرِ، فَأَنْدَمَ عَنِ الشَّرِّ الَّذِي قَصَدْتُ أَنْ أَصْنَعَهُ بِهِمْ، مِنْ أَجْلِ شَرِّ أَعْمَالِهِمْ» (إرميا 26: 3).

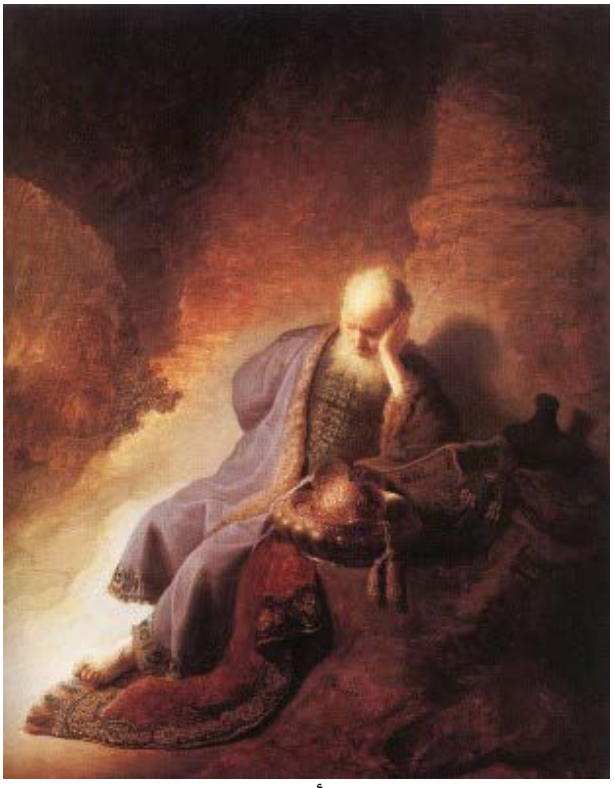

إرميا يتحسر على دمار أورشليم، بريشة رمبرانت

«فَكَلَّمَ إِرْمِيَا كُلَّ الرُّؤَسَاءِ وَكُلَّ الشَّعْبِ قَائِلًا: «الرَّبُّ أَرْسَلَنِي لأَتَنَبَّأَ عَلَى هذَا الْبَيْتِ وَعَلَى هذِهِ الْمَدِينَةِ بِكُلِّ الْكَلاَمِ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ. فَالآنَ أَصْلِحُوا طُرُقَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ، وَاسْمَعُوا لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ، فَيَنْدَمَ الرَّبُّ عَنِ الشَّرِّ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ عَلَيْكُمْ» (إرميا 26: 12-13).

«فَقَامَ أُنَاسٌ مِنْ شُيُوخِ الأَرْضِ وَكَلَّمُوا كُلَّ جَمَاعَةِ الشَّعْبِ قَائِلِينَ: إِنَّ مِيخَا الْمُورَشْتِيَّ تَنَبَّأَ فِي أَيَّامِ حَزَقِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا، وَكَلَّمَ كُلَّ شَعْبِ يَهُوذَا قَائِلًا: هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنَّ صِهْيَوْنَ تُفْلَحُ كَحَقْلٍ وَتَصِيرُ أُورُشَلِيمُ خِرَبًا وَجَبَلُ الْبَيْتِ شَوَامِخَ وَعْرٍ. هَلْ قَتْلًا قَتَلَهُ حَزَقِيَّا مَلِكُ يَهُوذَا وَكُلُّ يَهُوذَا؟ أَلَمْ يَخَفِ الرَّبَّ وَطَلَبَ وَجْهَ الرَّبِّ، فَنَدِمَ الرَّبُّ عَنِ الشَّرِّ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ عَلَيْهِمْ؟ فَنَحْنُ عَامِلُونَ شَرًّا عَظِيمًا ضِدَّ أَنْفُسِنَا». (إرميا 26: 17-19).

«وَقَالَ لَهُمْ: هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي أَرْسَلْتُمُونِي إِلَيْهِ لِكَيْ أُلْقِيَ تَضَرُّعَكُمْ أَمَامَهُ: إِنْ كُنْتُمْ تَسْكُنُونَ فِي هذِهِ الأَرْضِ، فَإِنِّي أَبْنِيكُمْ وَلاَ أَنْقُضُكُمْ، وَأَغْرِسُكُمْ وَلاَ أَقْتَلِعُكُمْ. لأَنِّي نَدِمْتُ عَنِ الشَّرِّ الَّذِي صَنَعْتُهُ بِكُمْ» (إرميا 42: 9-10).

«هكَذَا أَرَانِي السَّيِّدُ الرَّبُّ وَإِذَا هُوَ يَصْنَعُ جَرَادًا فِي أَوَّلِ طُلُوعِ خِلْفِ الْعُشْبِ. وَإِذَا خِلْفُ عُشْبٍ بَعْدَ جِزَازِ الْمَلِكِ. وَحَدَثَ لَمَّا فَرَغَ مِنْ أَكْلِ عُشْبِ الأَرْضِ أَنِّي قُلْتُ: أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ، اصْفَحْ! كَيْفَ يَقُومُ يَعْقُوبُ؟ فَإِنَّهُ صَغِيرٌ! فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى هذَا. لاَ يَكُونُ، قَالَ الرَّبُّ. هكَذَا أَرَانِي السَّيِّدُ الرَّبُّ، وَإِذَا السَّيِّدُ الرَّبُّ قَدْ دَعَا لِلْمُحَاكَمَةِ بِالنَّارِ، فَأَكَلَتِ الْغَمْرَ الْعَظِيمَ وَأَكَلَتِ الْحَقْلَ. فَقُلْتُ: أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ، كُفَّ! كَيْفَ يَقُومُ يَعْقُوبُ؟ فَإِنَّهُ صَغِيرٌ! فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى هذَا. فَهُوَ أَيْضًا لاَ يَكُونُ قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ». (عاموس 7: 1-6).

راهب العلم

نقد كتاب اليهودية (التناخ) جـ2:
صورة الله في الكتاب اليهودي

«وَمَزِّقُوا قُلُوبَكُمْ لاَ ثِيَابَكُمْ. وَارْجِعُوا إِلَى الرَّبِّ إِلهِكُمْ لأَنَّهُ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّأْفَةِ وَيَنْدَمُ عَلَى الشَّرِّ. لَعَلَّهُ يَرْجِعُ وَيَنْدَمُ، فَيُبْقِيَ وَرَاءَهُ بَرَكَةً، تَقْدِمَةً وَسَكِيبًا لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ» (يوئيل 2: 13-14).

«وَلْيَتَغَطَّ بِمُسُوحٍ النَّاسُ وَالْبَهَائِمُ، وَيَصْرُخُوا إِلَى اللهِ بِشِدَّةٍ، وَيَرْجِعُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيئَةِ وَعَنِ الظُّلْمِ الَّذِي فِي أَيْدِيهِمْ، لَعَلَّ اللهَ يَعُودُ وَيَنْدَمُ وَيَرْجِعُ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِهِ فَلاَ نَهْلِكَ. فَلَمَّا رَأَى اللهُ أَعْمَالَهُمْ أَنَّهُمْ رَجَعُوا عَنْ طَرِيقِهِمِ الرَّدِيئَةِ، نَدِمَ اللهُ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي تَكَلَّمَ أَنْ يَصْنَعَهُ بِهِمْ، فَلَمْ يَصْنَعْهُ» (يونان 3: 8-10).

«فَغَمَّ ذلِكَ يُونَانَ غَمًّا شَدِيدًا، فَاغْتَاظَ. وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: آهِ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ هذَا كَلاَمِي إِذْ كُنْتُ بَعْدُ فِي أَرْضِي؟ لِذلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ». (يونان 4: 1-2).

الله لا يندم

وبشكلٍ متناقضٍ نفتْ نصوصٌ أخرى الندمَ عن الله:

«وَأَيْضًا نَصِيحُ إِسْرَائِيلَ لاَ يَكْذِبُ وَلاَ يَنْدَمُ، لأَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانًا لِيَنْدَمَ» (صموئيل الأول 15: 29).

«أَنَا الرَّبَّ تَكَلَّمْتُ. يَأْتِي فَأَفْعَلُهُ. لاَ أُطْلِقُ وَلاَ أُشْفِقُ وَلاَ أَنْدَمُ. حَسَبَ طُرُقِكِ وَحَسَبَ أَعْمَالِكِ يَحْكُمُونَ عَلَيْكِ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ». (حزقيال 24: 14).

«فَوَافَى الرَّبُّ بَلْعَامَ وَوَضَعَ كَلاَمًا فِي فَمِهِ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى بَالاَقَ وَتَكَلَّمْ هكَذَا». فَأَتَى إِلَيْهِ وَإِذَا هُوَ وَاقِفٌ عِنْدَ مُحْرَقَتِهِ، وَرُؤَسَاءُ مُوآبَ مَعَهُ. فَقَالَ لَهُ بَالاَقُ: مَاذَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ؟ فَنَطَقَ بِمَثَلِهِ وَقَالَ: قُمْ يَا بَالاَقُ وَاسْمَعْ. اِصْغَ إِلَيَّ يَا ابْنَ صِفُّورَ. لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، وَلاَ ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ. هَلْ يَقُولُ وَلاَ يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلاَ يَفِي؟» (عدد 23: 16-19).

راهب العلم

نقد كتاب اليهودية (التناخ) جـ2:
صورة الله في الكتاب اليهودي

الله لا يغفر الذنوبَ والآثام

«لاَ تُحَرِّفْ حَقَّ فَقِيرِكَ فِي دَعْوَاهُ. اِبْتَعِدْ عَنْ كَلاَمِ الْكَذِبِ، وَلاَ تَقْتُلِ الْبَرِيءَ وَالْبَارَّ، لأَنِّي لاَ أُبَرِّرُ الْمُذْنِبَ». (الخروج 23: 6-7).

«فَقَالَ يَشُوعُ لِلشَّعْبِ: لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَعْبُدُوا الرَّبَّ لأَنَّهُ إِلهٌ قُدُّوسٌ وَإِلهٌ غَيُورٌ هُوَ. لاَ يَغْفِرُ ذُنُوبَكُمْ وَخَطَايَاكُمْ». (يشوع 24: 19).

«الرَّبُّ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَعَظِيمُ الْقُدْرَةِ، وَلكِنَّهُ لاَ يُبَرِّئُ الْبَتَّةَ. الرَّبُّ فِي الزَّوْبَعَةِ، وَفِي الْعَاصِفِ طَرِيقُهُ، وَالسَّحَابُ غُبَارُ رِجْلَيْهِ». (ناحوم 1: 3).

الله يغفر الذنوبَ والآثامَ والخطايا

كالعادة تناقضٌ مع النصوص السابقة:

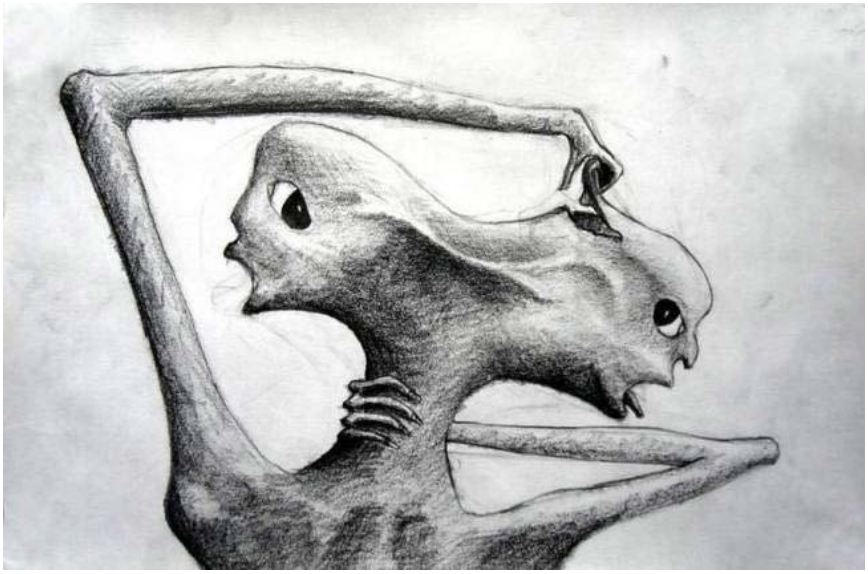

«فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي السَّحَابِ، فَوَقَفَ عِنْدَهُ هُنَاكَ وَنَادَى بِاسْمِ الرَّبِّ. فَاجْتَازَ الرَّبُّ قُدَّامَهُ، وَنَادَى الرَّبُّ: الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ. حَافِظُ الإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ. غَافِرُ الإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيَّةِ. وَلكِنَّهُ لَنْ يُبْرِئَ إِبْرَاءً. مُفْتَقِدٌ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ، وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ، فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ» (الخروج 34: 5-7).

«اِصْفَحْ عَنْ ذَنْبِ هذَا الشَّعْبِ كَعَظَمَةِ نِعْمَتِكَ، وَكَمَا غَفَرْتَ لِهذَا الشَّعْبِ مِنْ مِصْرَ إِلَى ههُنَا. فَقَالَ الرَّبُّ: قَدْ صَفَحْتُ حَسَبَ قَوْلِكَ» (عدد 14: 19-20).

«فَإِذَا تَوَاضَعَ شَعْبِي الَّذِينَ دُعِيَ اسْمِي عَلَيْهِمْ وَصَلَّوْا وَطَلَبُوا وَجْهِي، وَرَجَعُوا عَنْ طُرُقِهِمِ الرَّدِيَةِ فَإِنِّي أَسْمَعُ مِنَ السَّمَاءِ وَأَغْفِرُ خَطِيَّتَهُمْ وَأُبْرِئُ أَرْضَهُمْ. اَلآنَ عَيْنَايَ تَكُونَانِ مَفْتُوحَتَيْنِ، وَأُذُنَايَ مُصْغِيَتَيْنِ إِلَى صَلاَةِ هذَا الْمَكَانِ» (أخبار الأيام الثاني 7: 14-15).

راهب العلم

نقد كتاب اليهودية (التناخ) جـ2:
صورة الله في الكتاب اليهودي

«وَاسْمَعْ تَضَرُّعَ عَبْدِكَ وَشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يُصَلُّونَ فِي هذَا الْمَوْضِعِ، وَاسْمَعْ أَنْتَ فِي مَوْضِعِ سُكْنَاكَ فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا سَمِعْتَ فَاغْفِرْ». (الملوك الأول 8: 30)، وانظروا الآيتين 34 و36.

«طُوبَى لِلَّذِي غُفِرَ إِثْمُهُ وَسُتِرَتْ خَطِيَّتُهُ.» (مزمور 32: 1).

«أَمَّا هُوَ فَرَؤُوفٌ، يَغْفِرُ الإِثْمَ وَلاَ يُهْلِكُ. وَكَثِيرًا مَا رَدَّ غَضَبَهُ، وَلَمْ يُشْعِلْ كُلَّ سَخَطِهِ. ذَكَرَ أَنَّهُمْ بَشَرٌ. رِيحٌ تَذْهَبُ وَلاَ تَعُودُ. كَمْ عَصَوْهُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَأَحْزَنُوهُ فِي الْقَفْرِ!» (مزمور 78: 38-40).

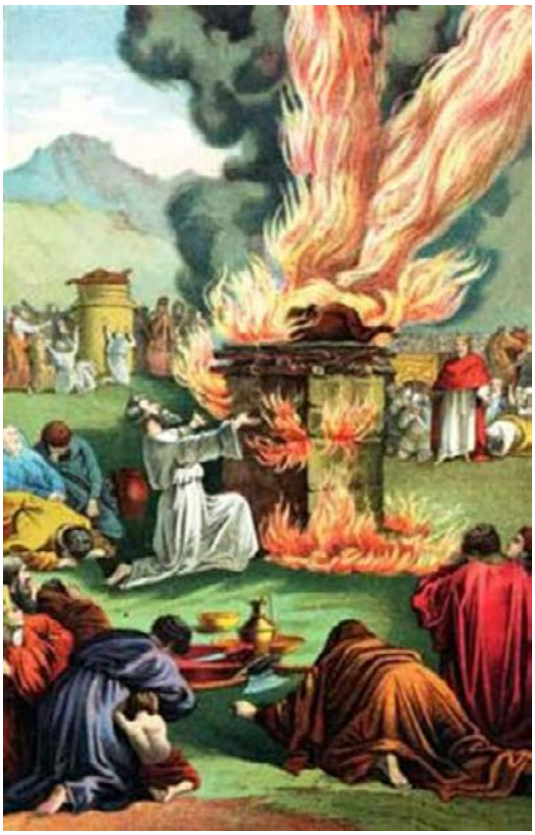

«أَعِنَّا يَا إِلهَ خَلاَصِنَا مِنْ أَجْلِ مَجْدِ اسْمِكَ، وَنَجِّنَا وَاغْفِرْ خَطَايَانَا مِنْ أَجْلِ اسْمِكَ» (مزمور 79: 9).

«لأَنَّكَ أَنْتَ يَا رَبُّ صَالِحٌ وَغَفُورٌ، وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ لِكُلِّ الدَّاعِينَ إِلَيْكَ» (مزمور 86: 5).

«بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ، وَلاَ تَنْسَيْ كُلَّ حَسَنَاتِهِ. الَّذِي يَغْفِرُ جَمِيعَ ذُنُوبِكِ. الَّذِي يَشْفِي كُلَّ أَمْرَاضِكِ» (مزمور 103: 2-3).

«مِنَ الأَعْمَاقِ صَرَخْتُ إِلَيْكَ يَا رَبُّ. يَا رَبُّ، اسْمَعْ صَوْتِي. لِتَكُنْ أُذُنَاكَ مُصْغِيَتَيْنِ إِلَى صَوْتِ تَضَرُّعَاتِي. إِنْ كُنْتَ تُرَاقِبُ الآثَامَ يَا رَبُّ، يَا سَيِّدُ، فَمَنْ يَقِفُ؟ لأَنَّ عِنْدَكَ الْمَغْفِرَةَ. لِكَيْ يُخَافَ مِنْكَ» (مزمور 130: 1-4).

«غَفَرْتَ إِثْمَ شَعْبِكَ. سَتَرْتَ كُلَّ خَطِيَّتِهِمْ. سِلاَهْ.» (مزمور 85: 2).

«طَيِّبُوا قَلْبَ أُورُشَلِيمَ وَنَادُوهَا بِأَنَّ جِهَادَهَا قَدْ كَمُلَ، أَنَّ إِثْمَهَا قَدْ عُفِيَ عَنْهُ، أَنَّهَا قَدْ قَبِلَتْ مِنْ يَدِ الرَّبِّ ضِعْفَيْنِ عَنْ كُلِّ خَطَايَاهَا» (إشعياء 40: 2).

«اُذْكُرْ هذِهِ يَا يَعْقُوبُ، يَا إِسْرَائِيلُ، فَإِنَّكَ أَنْتَ عَبْدِي. قَدْ جَبَلْتُكَ. عَبْدٌ لِي أَنْتَ. يَا إِسْرَائِيلُ لاَ تُنْسَى مِنِّي. قَدْ مَحَوْتُ كَغَيْمٍ ذُنُوبَكَ وَكَسَحَابَةٍ خَطَايَاكَ. اِرْجِعْ إِلَيَّ لأَنِّي خلّصتُك» (إشعياء 44: 21-22) في الترجمة المسيحية لأني فديتُك.

«لِيَتْرُكِ الشِّرِّيرُ طَرِيقَهُ، وَرَجُلُ الإِثْمِ أَفْكَارَهُ، وَلْيَتُبْ إِلَى الرَّبِّ فَيَرْحَمَهُ، وَإِلَى إِلهِنَا لأَنَّهُ يُكْثِرُ الْغُفْرَانَ» (إشعياء 55: 7).

راهب العلم

نقد كتاب اليهودية (التناخ) جـ2:
صورة الله في الكتاب اليهودي

«وَلاَ يَقُولُ سَاكِنٌ: «أَنَا مَرِضْتُ». الشَّعْبُ السَّاكِنُ فِيهَا مَغْفُورُ الإِثْمِ». (إشعياء 33: 24).

«مَنْ هُوَ إِلهٌ مِثْلُكَ غَافِرٌ الإِثْمَ وَصَافِحٌ عَنِ الذَّنْبِ لِبَقِيَّةِ مِيرَاثِهِ! لاَ يَحْفَظُ إِلَى الأَبَدِ غَضَبَهُ، فَإِنَّهُ يُسَرُّ بِالرَّأْفَةِ. يَعُودُ يَرْحَمُنَا، يَدُوسُ آثَامَنَا، وَتُطْرَحُ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ جَمِيعُ خَطَايَاهُمْ» (ميخا 7: 18-19).

«فَإِذَا رَجَعَ الشِّرِّيرُ عَنْ جَمِيعِ خَطَايَاهُ الَّتِي فَعَلَهَا وَحَفِظَ كُلَّ فَرَائِضِي وَفَعَلَ حَقًّا وَعَدْلًا فَحَيَاةً يَحْيَا. لاَ يَمُوتُ. كُلُّ مَعَاصِيهِ الَّتِي فَعَلَهَا لاَ تُذْكَرُ عَلَيْهِ. فِي بِرِّهِ الَّذِي عَمِلَ يَحْيَا؟» (حزقيال 18: 21-22).

«فَغَمَّ ذلِكَ يُونَانَ غَمًّا شَدِيدًا، فَاغْتَاظَ. وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: آهِ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ هذَا كَلاَمِي إِذْ كُنْتُ بَعْدُ فِي أَرْضِي؟ لِذلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ» (يونان 4: 1-2).

الله يُحَمِّل الأبناءَ ذنوبَ الآباء.

وهذا لا تقول به عدالة الرب الإله

«لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ» (الخروج 20: 5).

«حَافِظُ الإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ. غَافِرُ الإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيَّةِ. وَلكِنَّهُ لَنْ يُبْرِئَ إِبْرَاءً. مُفْتَقِدٌ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ، وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ، فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ» (الخروج 34: 7).

«... وَأَنْتَ إِلهٌ غَفُورٌ وَحَنَّانٌ وَرَحِيمٌ، طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ، فَلَمْ تَتْرُكْهُمْ» (نحميا 9: 17).

«لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلهٌ غَيُورٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ وَفِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنَ الَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي» (التثنية 5: 9).

راهب العلم

نقد كتاب اليهودية (التناخ) جـ2:
صورة الله في الكتاب اليهودي

«فَالآنَ لِتَعْظُمْ قُدْرَةُ سَيِّدِي كَمَا تَكَلَّمْتَ قَائِلًا: الرَّبُّ طَوِيلُ الرُّوحِ كَثِيرُ الإِحْسَانِ، يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَالسَّيِّئَةَ، لكِنَّهُ لاَ يُبْرِئُ. بَلْ يَجْعَلُ ذَنْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ إِلَى الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ. اِصْفَحْ عَنْ ذَنْبِ هذَا الشَّعْبِ كَعَظَمَةِ نِعْمَتِكَ، وَكَمَا غَفَرْتَ لِهذَا الشَّعْبِ مِنْ مِصْرَ إِلَى هُهُنَا. فَقَالَ الرَّبُّ: قَدْ صَفَحْتُ حَسَبَ قَوْلِكَ» (العدد 14: 17-20).

«صَانِعُ الإِحْسَانِ لأُلُوفٍ، وَمُجَازِي ذَنْبِ الآبَاءِ فِي حِضْنِ بَنِيهِمْ بَعْدَهُمُ، الإِلهُ الْعَظِيمُ الْجَبَّارُ، رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ» (إرميا 32: 18).

ويقول اللهُ للملِك شاول على لسان صموئيل النبيّ:

«هكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُ مَا عَمِلَ عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيلَ حِينَ وَقَفَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ صُعُودِهِ مِنْ مِصْرَ. فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلًا وَامْرَأَةً، طِفْلًا وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلًا وَحِمَارًا» (صموئيل الأول 15: 2-3).

لكن هذا على أساس المحاسبة على أشياءٍ وأحداثٍ حدثت منذ مئات السنين أيامَ موسى، فما ذنب الأجيال الجديدة التي لم ترتكب ذلك بل ربما لم تقرأ أو تسمع أو تعرف أن أجدادها منذ عدة مئاتٍ من السنين قاموا به، بل إن الشعوب تتغيّر خلال هذه المدة الطويلة في الطباع والعادات والقيم واللغة وحتى المعتقد والدين، وهذا ما حدث أيامَ موسى على حسب كتاب العهد اليهوديّ:

لوحة «النصر يا رب» بريشة ميلياس

«وَأَتَى عَمَالِيقُ وَحَارَبَ إِسْرَائِيلَ فِي رَفِيدِيمَ. فَقَالَ مُوسَى لِيَشُوعَ: انْتَخِبْ لَنَا رِجَالًا وَاخْرُجْ حَارِبْ عَمَالِيقَ. وَغَدًا أَقِفُ أَنَا عَلَى رَأْسِ التَّلَّةِ وَعَصَا اللهِ فِي يَدِي. فَفَعَلَ يَشُوعُ كَمَا قَالَ لَهُ مُوسَى لِيُحَارِبَ عَمَالِيقَ. وَأَمَّا مُوسَى وَهَارُونُ وَحُورُ فَصَعِدُوا عَلَى رَأْسِ التَّلَّةِ. وَكَانَ إِذَا رَفَعَ مُوسَى يَدَهُ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَغْلِبُ، وَإِذَا خَفَضَ يَدَهُ أَنَّ عَمَالِيقَ يَغْلِبُ. فَلَمَّا صَارَتْ يَدَا مُوسَى ثَقِيلَتَيْنِ، أَخَذَا حَجَرًا وَوَضَعَاهُ تَحْتَهُ فَجَلَسَ عَلَيْهِ. وَدَعَمَ هَارُونُ وَحُورُ يَدَيْهِ، الْوَاحِدُ مِنْ هُنَا وَالآخَرُ مِنْ هُنَاكَ. فَكَانَتْ يَدَاهُ ثَابِتَتَيْنِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ. فَهَزَمَ يَشُوعُ عَمَالِيقَ وَقَوْمَهُ بِحَدِّ السَّيْفِ. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: اكْتُبْ هذَا تَذْكَارًا فِي الْكِتَابِ، وَضَعْهُ فِي مَسَامِعِ يَشُوعَ. فَإِنِّي سَوْفَ أَمْحُو ذِكْرَ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. فَبَنَى مُوسَى مَذْبَحًا وَدَعَا اسْمَهُ يَهْوَهْ نِسِّي. وَقَالَ: إِنَّ الْيَدَ عَلَى كُرْسِيِّ الرَّبِّ. لِلرَّبِّ حَرْبٌ مَعَ عَمَالِيقَ مِنْ دَوْرٍ إِلَى دَوْرٍ». (الخروج 17: 8-16).

راهب العلم

نقد كتاب اليهودية (التناخ) جـ2:
صورة الله في الكتاب اليهودي

-قصةٌ أخرى شاول المَلِك قتّلَ وأباد الجبعونيين الذين عاشوا بأمانٍ أعطاه لهم بنو إسرائيل بعهدٍ بالله، فسكنوا وسط إسرائيل منذ أيام يشوع (انظروا يشوع 9)، ثم قُتِل شاولُ في حربٍ مع الفلسطينيين، ثم حدث التالي في القصة:

«وَكَانَ جُوعٌ فِي أَيَّامِ دَاوُدَ ثَلاَثَ سِنِينَ، سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ، فَطَلَبَ دَاوُدُ وَجْهَ الرَّبِّ. فَقَالَ الرَّبُّ: هُوَ لأَجْلِ شَاوُلَ وَلأَجْلِ بَيْتِ الدِّمَاءِ، لأَنَّهُ قَتَلَ الْجِبْعُونِيِّينَ. فَدَعَا الْمَلِكُ الْجِبْعُونِيِّينَ وَقَالَ لَهُمْ. وَالْجِبْعُونِيُّونَ لَيْسُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَلْ مِنْ بَقَايَا الأَمُورِيِّينَ، وَقَدْ حَلَفَ لَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَطَلَبَ شَاوُلُ أَنْ يَقْتُلَهُمْ لأَجْلِ غَيْرَتِهِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا. قَالَ دَاوُدُ لِلْجِبْعُونِيِّينَ: مَاذَا أَفْعَلُ لَكُمْ؟ وَبِمَاذَا أُكَفِّرُ فَتُبَارِكُوا نَصِيبَ الرَّبِّ؟ فَقَالَ لَهُ الْجِبْعُونِيُّونَ: لَيْسَ لَنَا فِضَّةٌ وَلاَ ذَهَبٌ عِنْدَ شَاوُلَ وَلاَ عِنْدَ بَيْتِهِ، وَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُمِيتَ أَحَدًا فِي إِسْرَائِيلَ. فَقَالَ: مَهْمَا قُلْتُمْ أَفْعَلُهُ لَكُمْ. فَقَالُوا لِلْمَلِكِ: الرَّجُلُ الَّذِي أَفْنَانَا وَالَّذِي تَآمَرَ عَلَيْنَا لِيُبِيدَنَا لِكَيْ لاَ نُقِيمَ فِي كُلِّ تُخُومِ إِسْرَائِيلَ، فَلْنُعْطَ سَبْعَةَ رِجَالٍ مِنْ بَنِيهِ فَنَصْلِبَهُمْ لِلرَّبِّ فِي جِبْعَةِ شَاوُلَ مُخْتَارِ الرَّبِّ. فَقَالَ الْمَلِكُ: أَنَا أُعْطِي. وَأَشْفَقَ الْمَلِكُ عَلَى مَفِيبُوشَثَ بْنِ يُونَاثَانَ بْنِ شَاوُلَ مِنْ أَجْلِ يَمِينِ الرَّبِّ الَّتِي بَيْنَهُمَا، بَيْنَ دَاوُدَ وَيُونَاثَانَ بْنِ شَاوُلَ. فَأَخَذَ الْمَلِكُ ابْنَيْ رِصْفَةَ ابْنَةِ أَيَّةَ اللَّذَيْنِ وَلَدَتْهُمَا لِشَاوُلَ: أَرْمُونِيَ وَمَفِيبُوشَثَ، وَبَنِي مِيكَالَ ابْنَةِ شَاوُلَ الْخَمْسَةَ الَّذِينَ وَلَدَتْهُمْ لِعَدْرِئِيلَ بْنِ بَرْزِلاَّيَ الْمَحُولِيِّ، وَسَلَّمَهُمْ إِلَى يَدِ الْجِبْعُونِيِّينَ، فَصَلَبُوهُمْ عَلَى الْجَبَلِ أَمَامَ الرَّبِّ. فَسَقَطَ السَّبْعَةُ مَعًا وَقُتِلُوا فِي أَيَّامِ الْحَصَادِ، فِي أَوَّلِهَا فِي ابْتِدَاءِ حَصَادِ الشَّعِيرِ. فَأَخَذَتْ رِصْفَةُ ابْنَةُ أَيَّةَ مِسْحًا وَفَرَشَتْهُ لِنَفْسِهَا عَلَى الصَّخْرِ مِنِ ابْتِدَاءِ الْحَصَادِ حَتَّى انْصَبَّ الْمَاءُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَمْ تَدَعْ طُيُورَ السَّمَاءِ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ نَهَارًا، وَلاَ حَيَوَانَاتِ الْحَقْلِ لَيْلًا. فَأُخْبِرَ دَاوُدُ بِمَا فَعَلَتْ رِصْفَةُ ابْنَةُ أَيَّةَ سُرِّيَّةُ شَاوُلَ. فَذَهَبَ دَاوُدُ وَأَخَذَ عِظَامَ شَاوُلَ وَعِظَامَ يُونَاثَانَ ابْنِهِ مِنْ أَهْلِ يَابِيشِ جِلْعَادَ الَّذِينَ سَرَقُوهَا مِنْ شَارِعِ بَيْتِ شَانَ، حَيْثُ عَلَّقَهُمَا الْفِلِسْطِينِيُّونَ يَوْمَ ضَرَبَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ شَاوُلَ فِي جِلْبُوعَ. فَأَصْعَدَ مِنْ هُنَاكَ عِظَامَ شَاوُلَ وَعِظَامَ يُونَاثَانَ ابْنِهِ، وَجَمَعُوا عِظَامَ الْمَصْلُوبِينَ، وَدَفَنُوا عِظَامَ شَاوُلَ وَيُونَاثَانَ ابْنِهِ فِي أَرْضِ بَنْيَامِينَ فِي صَيْلَعَ، فِي قَبْرِ قَيْسَ أَبِيهِ، وَعَمِلُوا كُلَّ مَا أَمَرَ بِهِ الْمَلِكُ. وَبَعْدَ ذلِكَ اسْتَجَابَ اللهُ مِنْ أَجْلِ الأَرْضِ». (صموئيل الثاني 21: 1-14).

أي إجرامٍ هذا؟! أيها السادة إن سفك دماء أناسٍ أبرياءٍ لم يرتكبوا جريرةً، بدعوى جرمٍ ارتكبه أبوهم الميت، وقتلهم دون أن يكونوا قتلوا أو سفكوا دم أحد، بل وقُتلوا بأبشع وأبطأ طريقةٍ ممكنةٍ بحيث طالَ عذابهم إلى فترةٍ طويلة، إن عقاب الناس الأبرياء وتعذيبهم بهذه البشاعة والوحشية وإزهاق نفوسهم دون ذنبٍ جنوه، هو ببساطةٍ إجرامٌ ليس هناك أكبر منه، أن هذا الداود ليس نبيًا ولا إنسانًا، إنه ببساطةٍ شيطان، مجرم، مخالفٌ لكل مبادئ العدالة وحقوق الإنسان.

راهب العلم

نقد كتاب اليهودية (التناخ) جـ2: صورة الله في الكتاب اليهودي

إن داود إنما وجد هذه حجةً وتبريرًا ليبيد كل نسل وأبناء شاول بسبب الصراع الطويل المعروف على السلطة والحكم بين داود وشاول، ثم بعد موت شاول بين داود وإيشبوشث بن شاول. وهكذا لما انتصر داود على إيشبوشث وقتله، رأى فرصةً و(تمحيكة) ليزيح كل أبناء شاول من طريقه، ويضمن عدم وجود منافسٍ له على الحكم. وهكذا طبّق داود المبادئ الراديكالية والميكياڤيلية اللاأخلاقية، وسفك دماء الرجال الأبرياء الذين لم يقتلوا أحدًا، والكارثة أن نصوص الكتاب اليهودي تنص في عدة مواضع على أنّ داود نبيٌ كلّمه الربُ يهوه.

ثم يعود الكتاب بمنتهى السفالة ليدعم هذه الجريمة ويزعم زعمَ فاجرٍ كاذبٍ أن المطر نزل بعد هذه الفعلة الشنعاء علامةً على رضا الله عنها!

أين العدالة الإلهية؟! أين حقوق الإنسان؟

-وها هي قصةٌ أخرى أيضًا:

«وَلَمَّا رَجَعَ أَبْنَيْرُ إِلَى حَبْرُونَ، مَالَ بِهِ يُوآبُ إِلَى وَسَطِ الْبَابِ لِيُكَلِّمَهُ سِرًّا، وَضَرَبَهُ هُنَاكَ فِي بَطْنِهِ فَمَاتَ بِدَمِ عَسَائِيلَ أَخِيهِ. فَسَمِعَ دَاوُدُ بَعْدَ ذلِكَ فَقَالَ: إِنِّي بَرِيءٌ أَنَا وَمَمْلَكَتِي لَدَى الرَّبِّ إِلَى الأَبَدِ مِنْ دَمِ أَبْنَيْرَ بْنِ نَيْرٍ. فَلْيَحُلَّ عَلَى رَأْسِ يُوآبَ وَعَلَى كُلِّ بَيْتِ أَبِيهِ، وَلاَ يَنْقَطِعُ مِنْ بَيْتِ يُوآبَ ذُو سَيْلٍ وَأَبْرَصُ وَعَاكِزٌ عَلَى الْعُكَّازَةِ وَسَاقِطٌ بِالسَّيْفِ وَمُحْتَاجُ الْخُبْزِ. فَقَتَلَ يُوآبُ وَأَبِيشَايُ أَخُوهُ أَبْنَيْرَ، لأَنَّهُ قَتَلَ عَسَائِيلَ أَخَاهُمَا فِي جِبْعُونَ فِي الْحَرْبِ» (صموئيل الثاني 3: 27-30).

يا للعجب من داود الذي يزعم ويزعمون أنه نبيّ، ما ذنب الأبناء الذين لم يولدوا بعدُ، ولماذا يحملهم لعناتٍ وأمراضًا؟! وأي ذنبٍ ارتكبوا ليُعاقبوا عليه، والظريف أنه لم يلعن فقط نسل يوآب، بل لعن نسلَ أبي يوآب! وبهذا يفقد الموضوع حتى المنطق غير المنطقي الذي يقول أن الأبناء يحملون ذنوبَ آبائهم. فما ذنب نسل أبي يوآب؟!

الأبناء لا يحملون ذنوبَ آبائهم، بل كل واحدٍ يُعاقب على ذنوبه هو فقط.

«لاَ يُقْتَلُ الآبَاءُ عَنِ الأَوْلاَدِ، وَلاَ يُقْتَلُ الأَوْلاَدُ عَنِ الآبَاءِ. كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيَّتِهِ يُقْتَلُ» (التثنية 24: 16).

«وَلَمَّا تَثَبَّتَتِ الْمَمْلَكَةُ عَلَيْهِ قَتَلَ عَبِيدَهُ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمَلِكَ أَبَاهُ. وَأَمَّا بَنُوهُمْ فَلَمْ يَقْتُلْهُمْ، بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الشَّرِيعَةِ فِي سِفْرِ مُوسَى حَيْثُ أَمَرَ الرَّبُّ قَائِلًا: لاَ تُمُوتُ الآبَاءُ لأَجْلِ الْبَنِينَ، وَلاَ الْبَنُونَ يُمُوتُونَ لأَجْلِ الآبَاءِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ يَمُوتُ لأَجْلِ خَطِيَّتِهِ» (أخبار الأيام الثاني 25: 3-4).

راهب العلم

نقد كتاب اليهودية (التناخ) جـ2:
صورة الله في الكتاب اليهودي

يقول حزقيال النبيّ:

«وَإِنْ وَلَدَ ابْنًا رَأَى جَمِيعَ خَطَايَا أَبِيهِ الَّتِي فَعَلَهَا، فَرَآهَا وَلَمْ يَفْعَلْ مِثْلَهَا. لَمْ يَأْكُلْ عَلَى الْجِبَالِ، وَلَمْ يَرْفَعْ عَيْنَيْهِ إِلَى أَصْنَامِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ، وَلاَ نَجَّسَ امْرَأَةَ قَرِيبِهِ، وَلاَ ظَلَمَ إِنْسَانًا، وَلاَ ارْتَهَنَ رَهْنًا، وَلاَ اغْتَصَبَ اغْتِصَابًا، بَلْ بَذَلَ خُبْزَهُ لِلْجَوْعَانِ، وَكَسَا الْعُرْيَانَ ثَوْبًا وَرَفَعَ يَدَهُ عَنِ الْفَقِيرِ، وَلَمْ يَأْخُذْ رِبًا وَلاَ مُرَابَحَةً، بَلْ أَجْرَى أَحْكَامِي وَسَلَكَ فِي فَرَائِضِي، فَإِنَّهُ لاَ يَمُوتُ بِإِثْمِ أَبِيهِ. حَيَاةً يَحْيَا. أَمَّا أَبُوهُ فَلأَنَّهُ ظَلَمَ ظُلْمًا، وَاغْتَصَبَ أَخَاهُ اغْتِصَابًا، وَعَمِلَ غَيْرَ الصَّالِحِ بَيْنَ شَعْبِهِ، فَهُوَذَا يَمُوتُ بِإِثْمِهِ.

وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: لِمَاذَا لاَ يَحْمِلُ الابْنُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ؟ أَمَّا الابْنُ فَقَدْ فَعَلَ حَقًّا وَعَدْلاً. حَفِظَ جَمِيعَ فَرَائِضِي وَعَمِلَ بِهَا فَحَيَاةً يَحْيَا. اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. اَلابْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ، وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْنِ. بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ، وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ» (حزقيال 18: 14-20).

تجسيد الله بشكلٍ سخيفٍ وبدائيّ، فيوصف اللهُ بأن له أنفًا وعينين وأذنين وقدمين، ويسير في سحابة، وينزل، وله رِجلانِ وشفتان وإصبعٌ ويدٌ وأحشاء، ويسير على أعالي البحر، ويمشي على مشارف الأرض، ويمر علينا فلا نراه، ويركب على سحابة، وعلى كروب(ملاك)، ويمشي على أجنحة الريح، والسحاب غبار رجليه....إلخ إلخ.

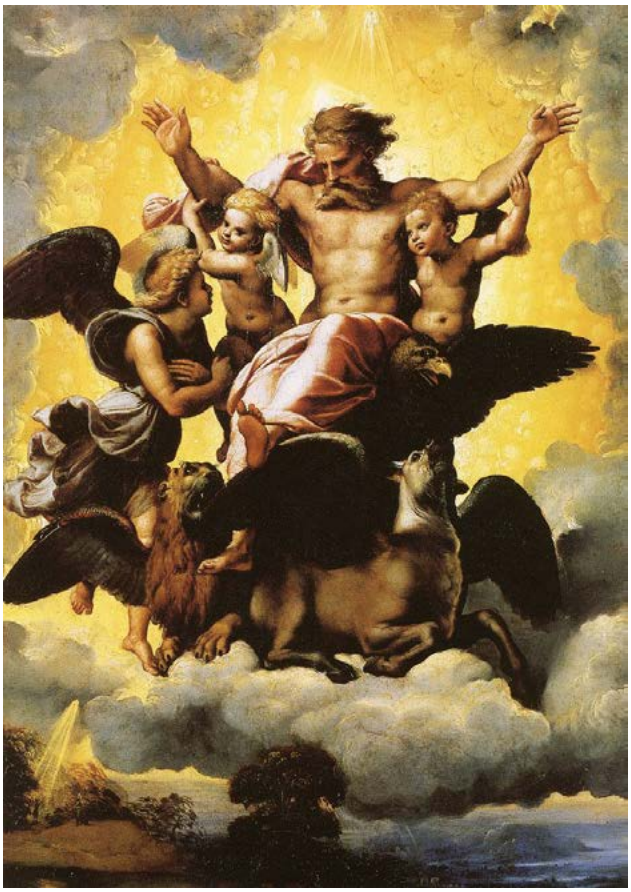

«وَارْتَحَلُوا مِنْ سُكُّوتَ وَنَزَلُوا فِي إِيثَامَ فِي طَرَفِ الْبَرِّيَّةِ. وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلًا فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ. لِكَيْ يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلًا. لَمْ يَبْرَحْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَارًا وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلًا مِنْ أَمَامِ الشَّعْبِ» (الخروج 13: 20-22).

«فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي السَّحَابِ، فَوَقَفَ عِنْدَهُ هُنَاكَ وَنَادَى بِاسْمِ الرَّبِّ. فَاجْتَازَ الرَّبُّ قُدَّامَهُ، وَنَادَى الرَّبُّ: الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ» (الخروج 34: 5-6).

«فِي ضِيقِي دَعَوْتُ الرَّبَّ، وَإِلَى إِلهِي صَرَخْتُ، فَسَمِعَ مِنْ هَيْكَلِهِ صَوْتِي، وَصُرَاخِي دَخَلَ أُذُنَيْهِ. فَارْتَجَّتِ الأَرْضُ وَارْتَعَشَتْ. أُسُسُ السَّمَاوَاتِ ارْتَعَدَتْ وَارْتَجَّتْ، لأَنَّهُ غَضِبَ. صَعِدَ دُخَانٌ مِنْ أَنْفِهِ، وَنَارٌ مِنْ فَمِهِ أَكَلَتْ. جَمْرٌ اشْتَعَلَتْ مِنْهُ. طَأْطَأَ السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ، وَضَبَابٌ تَحْتَ رِجْلَيْهِ» (صموئيل الثاني 22: 7-10).

راهب العلم

نقد كتاب اليهودية (التناخ) جـ2:
صورة الله في الكتاب اليهودي

«يُعَلِّمُونَ يَعْقُوبَ أَحْكَامَكَ، وَإِسْرَائِيلَ نَامُوسَكَ. يَضَعُونَ بَخُورًا فِي أَنْفِكَ، وَمُحْرَقَاتٍ عَلَى مَذْبَحِكَ» (التثنية 33: 10).

«فَظَهَرَتْ أَعْمَاقُ الْبَحْرِ، وَانْكَشَفَتْ أُسُسُ الْمَسْكُونَةِ مِنْ زَجْرِ الرَّبِّ، مِنْ نَسْمَةِ رِيحِ أَنْفِهِ» (صموئيل الثاني 22: 16).

في حينٍ وجدتُ في دراستي لأسفار الكتاب اليهوديّ العشرات من النصوص الصريحة في عدم الاعتقاد بوجود حياةٍ أخرى وأن الإنسان نهايته الحتمية الموت بلا رجعة، وأنه ليس له إلا تلك الحياة فقط ليستمتع بها ويعيشها ويقدرها ولا يضيعها، وهو اتجاهٌ وتيارٌ عقلانيٌّ في اليهودية قبل دخول المعتقد الماورائي السخيف الذي يجعل الإنسان لا يقدِّر معنى الحياة والتعمير والسعي والنجاح والمتع وقيمة حياته وكيانه ووجوده، فلننظر مثلًا في حزقيال37: 24-28، إشعياء 65، أيوب 14: 10-14 مزمور 89، الجامعة 9 وينبغي أن تقرأوا ما قبلها الإصحاحات 1 إلى 9، وأعتذر من القارئ لأني أثناء الدراسة لم أجمع كل النصوص المنكرة للقيامة المتناثرة هنا وهناك في أسفار الكتاب اليهويّ.

وهناك طوائف تمثِّل أقليةً من اليهود لا تعتقد بقيامةٍ أو بعثٍ كطائفةٍ مندثرةٍ أيام يسوع مؤسس المسيحية اسمها الفريسيون.

وسبب دخول عقيدة القيامة والبعث في الدين اليهوديّ هو الاحتكاك مع الفرس الزرادشتيين الذين كانوا يعتقدون بوجود قيامةٍ جسديةٍ وجنةٍ وجحيمٍ كما نص على ذلك كثيرًا نبيهم زرادشت في كتابهم المقدس الأڤستا Avesta، وما آلف بينهما أن كليهما يعتقدان بإلهٍ واحد. وكان ذلك في عصر الملك الفارسيّ كورش.

أما في أسفار موسى الخمسة أي التوراة، وسفر يشوع والقضاة وسفري صموئيل وسفري الملوك وسفري أخبار الأيام فلا يوجد أي ذكرٍ لقيامةٍ جسديةٍ أو يوم حسابٍ إلهي، المذكور فقط وجود الروح في الكثير من النصوص وأنها تظل موجودةً بشكلٍ ما بعد موت الجسد، كقصة تحضير شاول بالسحر المحرَّم لروح النبيّ صموئيل الميت في سفر صموئيل الأول 28.

راهب العلم

نقد كتاب اليهودية (التناخ) جـ2:
صورة الله في الكتاب اليهودي

«بِنَسَمَةِ اللهِ يَبِيدُونَ، وَبِرِيحِ أَنْفِهِ يَفْنَوْنَ» (أيوب 4: 9).

«يَمِينُكَ يَا رَبُّ مُعْتَزَّةٌ بِالْقُدْرَةِ. يَمِينُكَ يَا رَبُّ تُحَطِّمُ الْعَدُوَّ. وَبِكَثْرَةِ عَظَمَتِكَ تَهْدِمُ مُقَاوِمِيكَ. تُرْسِلُ سَخَطَكَ فَيَأْكُلُهُمْ كَالْقَشِّ، وَبِرِيحِ أَنْفِكَ تَرَاكَمَتِ الْمِيَاهُ. انْتَصَبَتِ الْمَجَارِيَ كَرَابِيَةٍ. تَجَمَّدَتِ اللُّجَجُ فِي قَلْبِ الْبَحْرِ» (الخروج 15: 6-8).

«فَظَهَرَتْ أَعْمَاقُ الْمِيَاهِ، وَانْكَشَفَتْ أُسُسُ الْمَسْكُونَةِ مِنْ زَجْرِكَ يَا رَبُّ، مِنْ نَسْمَةِ رِيحِ أَنْفِكَ» (مزمور 18: 15).

«... مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِفَمِهِ إِلَى دَاوُدَ أَبِي...» (الملوك الأول 8: 15).

«اطْلُبُوا الرَّبَّ وَعِزَّهُ. الْتَمِسُوا وَجْهَهُ دَائِمًا. اذْكُرُوا عَجَائِبَهُ الَّتِي صَنَعَ. آيَاتِهِ وَأَحْكَامَ فَمِهِ» (أخبار الأيام الأول 16: 11-12).

«لاَ أَنْقُضُ عَهْدِي، وَلاَ أُغَيِّرُ مَا خَرَجَ مِنْ شَفَتَيَّ» (مزمور 89: 34).

«شَرِيعَةُ فَمِكَ خَيْرٌ لِي مِنْ أُلُوفِ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ» (مزمور 119: 72).

«بِشَفَتَيَّ حَسَبْتُ كُلَّ أَحْكَامِ فَمِكَ» (مزمور 119: 13).

«مِنَ الأَعْمَاقِ صَرَخْتُ إِلَيْكَ يَا رَبُّ. يَا رَبُّ، اسْمَعْ صَوْتِي. لِتَكُنْ أُذُنَاكَ مُصْغِيَتَيْنِ إِلَى صَوْتِ تَضَرُّعَاتِي» (مزمور 130: 1-2)

«اَلآنَ عَيْنَايَ تَكُونَانِ مَفْتُوحَتَيْنِ، وَأُذُنَايَ مُصْغِيَتَيْنِ إِلَى صَلاَةِ هذَا الْمَكَانِ» (أخبار الأيام الثاني 7: 15).

«وَصَلَّى حَزَقِيَّا إِلَى الرَّبِّ قَائِلًا: يَا رَبَّ الْجُنُودِ، إِلهَ إِسْرَائِيلَ الْجَالِسَ فَوْقَ الْكَرُوبِيمِ، أَنْتَ هُوَ الإِلهُ وَحْدَكَ لِكُلِّ مَمَالِكِ الأَرْضِ. أَنْتَ صَنَعْتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. أَمِلْ يَا رَبُّ أُذُنَكَ وَاسْمَعِ. افْتَحْ يَا رَبُّ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ، وَاسْمَعْ كُلَّ كَلاَمِ سَنْحَارِيبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ لِيُعَيِّرَ اللهَ الْحَيَّ» (إشعياء 37: 15-17).

«وَوَقَفَ دَاوُدُ الْمَلِكُ عَلَى رِجْلَيْهِ وَقَالَ: «اِسْمَعُونِي يَا إِخْوَتِي وَشَعْبِي. كَانَ فِي قَلْبِي أَنْ أَبْنِيَ بَيْتَ قَرَارٍ لِتَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ وَلِمَوْطِئِ قَدَمَيْ إِلهِنَا، وَقَدْ هَيَّأْتُ لِلْبِنَاءِ» (أخبار الأيام الأول 28: 2).

«عَلُّوا الرَّبَّ إِلهَنَا، وَاسْجُدُوا عِنْدَ مَوْطِئِ قَدَمَيْهِ. قُدُّوسٌ هُوَ» (مزمور 99: 5).

راهب العلم

نقد كتاب اليهودية (التناخ) جـ2:
صورة الله في الكتاب اليهودي

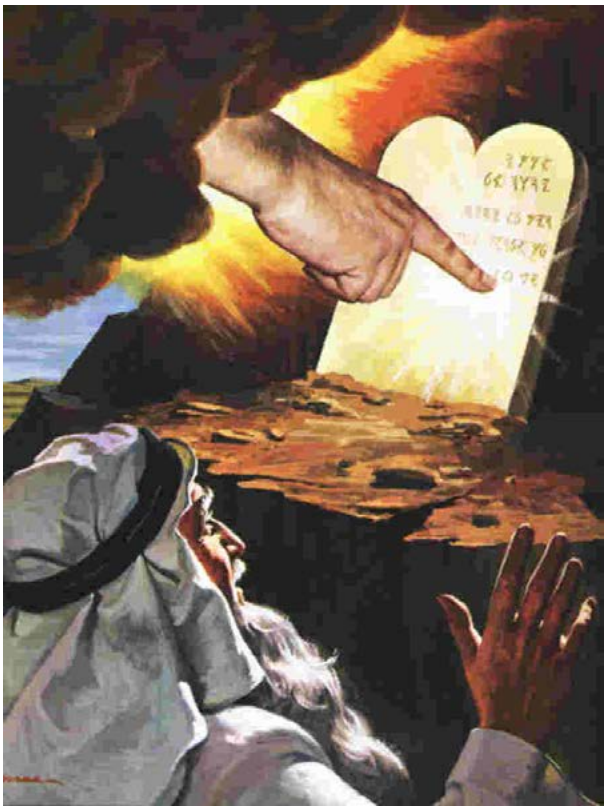

«مَجْدُ لُبْنَانَ إِلَيْكِ يَأْتِي. السَّرْوُ وَالسِّنْدِيَانُ وَالشَّرْبِينُ مَعًا لِزِينَةِ مَكَانِ مَقْدِسِي، وَأُمَجِّدُ مَوْضِعَ رِجْلَيَّ» (إشعياء 60: 13).

«ثُمَّ أَعْطَى مُوسَى عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَهُ فِي جَبَلِ سِينَاءَ لَوْحَيِ الشَّهَادَةِ: لَوْحَيْ حَجَرٍ مَكْتُوبَيْنِ بِإِصْبَعِ اللهِ» (الخروج 31: 18).

«وَأَعْطَانِيَ الرَّبُّ لَوْحَيِ الْحَجَرِ الْمَكْتُوبَيْنِ بِأَصَبعِ اللهِ، وَعَلَيْهِمَا مِثْلُ جَمِيعِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي كَلَّمَكُمْ بِهَا الرَّبُّ فِي الْجَبَلِ مِنْ وَسَطِ النَّارِ فِي يَوْمِ الاجْتِمَاعِ» (التثنية 9: 10).

«هكَذَا أَرَانِي وَإِذَا الرَّبُّ وَاقِفٌ عَلَى حَائِطٍ قَائِمٍ وَفِي يَدِهِ زِيجٌ» (عاموس 7: 7).

«وَمَدَّ الرَّبُّ يَدَهُ وَلَمَسَ فَمِي، وَقَالَ الرَّبُّ لِي: هَا قَدْ جَعَلْتُ كَلاَمِي فِي فَمِكَ» (إرميا 1: 9).

«وَأَنَا أَيْضًا أُصَفِّقُ كَفِّي عَلَى كَفِّي وَأُسَكِّنُ غَضَبِي. أَنَا الرَّبُّ تَكَلَّمْتُ» (حزقيال 21: 17).

«تَطَلَّعْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَانْظُرْ مِنْ مَسْكَنِ قُدْسِكَ وَمَجْدِكَ: أَيْنَ غَيْرَتُكَ وَجَبَرُوتُكَ؟ زَفِيرُ أَحْشَائِكَ وَمَرَاحِمُكَ نَحْوِي امْتَنَعَتْ» (إشعياء 63: 15).

«الْبَاسِطُ السَّمَاوَاتِ وَحْدَهُ، وَالْمَاشِي عَلَى أَعَالِي الْبَحْرِ» (أيوب 9: 8).

«هُوَذَا يَمُرُّ عَلَيَّ وَلاَ أَرَاهُ، وَيَجْتَازُ فَلاَ أَشْعُرُ بِهِ» (أيوب 9: 11).

«فِي ضِيقِي دَعَوْتُ الرَّبَّ، وَإِلَى إِلهِي صَرَخْتُ، فَسَمِعَ مِنْ هَيْكَلِهِ صَوْتِي، وَصُرَاخِي قُدَّامَهُ دَخَلَ أُذُنَيْهِ. فَارْتَجَّتِ الأَرْضُ وَارْتَعَشَتْ، أُسُسُ الْجِبَالِ ارْتَعَدَتْ وَارْتَجَّتْ لأَنَّهُ غَضِبَ. صَعِدَ دُخَانٌ مِنْ أَنْفِهِ، وَنَارٌ مِنْ فَمِهِ أَكَلَتْ. جَمْرٌ اشْتَعَلَتْ مِنْهُ. طَأْطَأَ السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ، وَضَبَابٌ تَحْتَ رِجْلَيْهِ. رَكِبَ عَلَى كَرُوبٍ وَطَارَ، وَهَفَّ عَلَى أَجْنِحَةِ الرِّيَاحِ» (مزمور 18: 6-10).

راهب العلم

نقد كتاب اليهودية (التناخ) جـ2: صورة الله في الكتاب اليهودي

«الْمُسَقِّفُ عَلاَلِيَهُ بِالْمِيَاهِ. الْجَاعِلُ السَّحَابَ مَرْكَبَتَهُ، الْمَاشِي عَلَى أَجْنِحَةِ الرِّيحِ» (مزمور 104: 3).

«وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ مِصْرَ: هُوَذَا الرَّبُّ رَاكِبٌ عَلَى سَحَابَةٍ سَرِيعَةٍ وَقَادِمٌ إِلَى مِصْرَ، فَتَرْتَجِفُ أَوْثَانُ مِصْرَ مِنْ وَجْهِهِ، وَيَذُوبُ قَلْبُ مِصْرَ دَاخِلَهَا» (إشعياء 19: 1).

«فَإِنَّهُ هُوَذَا الَّذِي صَنَعَ الْجِبَالَ وَخَلَقَ الرِّيحَ وَأَخْبَرَ الإِنْسَانَ مَا هُوَ فِكْرُهُ، الَّذِي يَجْعَلُ الْفَجْرَ ظَلاَمًا، وَيَمْشِي عَلَى مَشَارِفِ الأَرْضِ، يَهْوَهُ إِلهُ الْجُنُودِ اسْمُهُ» (عاموس 4: 13).

الرب هو مصدر الشرور والعذابات والأمراض.

«لِكَيْ يَعْلَمُوا مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ وَمِنْ مَغْرِبِهَا أَنْ لَيْسَ غَيْرِي. أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ. مُصَوِّرُ النُّورِ وَخَالِقُ الظُّلْمَةِ، صَانِعُ السَّلاَمِ وَخَالِقُ الشَّرِّ. أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ هذِهِ» (إشعياء 45: 6-7).

طبعًا يمكن في هذا الموضوع الاستشهاد بعشرات النصوص الأخرى.

انتصار الموت، بريشة بروغل

اشترك الآن

YouTube

في قناتنا على اليوتيوب

https://www.youtube.com/c/ahmedzayedchannel

قرابة 10 مليون مشاهدة و70 ألف مشترك

أحمد سعد زايد

قناة أحمد سعد زايد على اليوتيوب هي قناة معنية بالتنوير الفكري والثقافي وهي محاولة للتفكير الموضوعي العقلاني معًا.

وتجدون فيها العديد من السلاسل ومنها:

- **ألف باء فلسفة لتبسيط المعرفة الفلسفية**
- **تاريخ الحضارة العربية الاسلامية**
- **سلسلة تعريفية برموز فكرية عربية وغربية كالمعري والرازي وأرسطو وماركس وراسل**
- **سلسلة بتحليل خلافات الصحابة وقتالهم**
- **سلسة تطور تاريخ الإيديولوجيات السياسية والفلسفات**

وغير ذلك كثير من محاضرات ومقابلات لرموز فكرية فالقناة بها أكثر من 700 محاضرة، وهي جهد طويل ومتواضع من العمل الثقافي ومحاولة نشر الوعي والعقلانية والعلمية قدر المستطاع للمتحدثين بالعربية.

للتواصل معنا على صفحة القناة على الفيسبوك:
https://www.facebook.com/aszayedtv

صفحة أحمد سعد زايد الشخصية:
https://www.facebook.com/ahmedsaadzayed

لدعم القناة: https://www.patreon.com/ahmedzayed

https://www.paypal.me/ahmedsaadzayed/100

الإلحاد والتطور

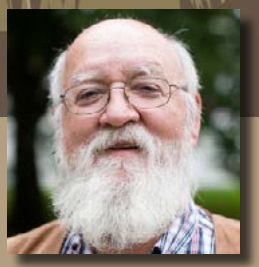

دانيئيل دنت

التطور ظاهرةٌ مشاهدةٌ في الحياة على الأرض، تربط بين الكائنات عليها بصلةٍ عائليةٍ تجمع الجميع. نظرية التطور هي ما توصل إليه البشر من وصفٍ لهذه العلاقات وأسبابها مستعملين المنهج العلمي المجرد. الدين هو محاولةٌ أخرى سابقة. لا عجب إذًا أن يتصادم العلم بالدين في عندما تختلف مخرجاتهما في نقطة حاسمة كأصلٍ الإنسان.

دانييل دنت

الإلحاد والتطور

يقول رينيه ديكارت Descartes في تأملاته الميتافيزيقية[1]: «هنالك طريقان فقط لإثبات وجود الله، أحدهما يتمثل بالنظر إلى آثاره، والآخر بالنظر في طبيعته أو جوهره»[2]. الطريق الثاني هو طريقٌ قَبْلي[3] (بديهي) A priori يتمثل نموذجه بالحجة الأنطولوجية للقديس أنسلم St. Anselm (وما تمخض عنها، بما في ذلك نسخة ديكارت نفسه عن الحجة)، ولهذه الحجة عميق الأثر على بعض الفلاسفة، لكنها لا تؤثر على غالبية الناس. أما الطريق الأول فيتمثّل نموذجه بالحجة المستقاة من التصميم Argument from design، وهي من أكثر الحجج استمالةً لإقناع الناس في مواجهة الإلحاد، ومن الظاهر أنها تنشأ تلقائيًا حالما يتحدى المرء إيمان الناس بالله.

إن مثال ويليام پيلي[4] William Paley بإيجاد ساعةٍ ملقاةٍ في البرية هو ذروة هذه الفكرة إذ يقول: «إن الاستنتاج الذي نراه حتميًا هو أن للساعة صانعًا بلا ريب، أنه في وقتٍ ما وفي مكانٍ ما لا بد من وجود صانعٍ أو صنّاعٍ للساعة لتخدم الغرض الذي صُمّمت لأجله، وأن ذلك الصانع قد أحاط بعلمه مبدأ تركيبها وتصميم طريقة استعمالها»[5]. وقد كانت هذه الحجة محترمةً ولها وزنها، إلى أن جاء داروين. فانبرى لها هيوم في كتابه «محاوراتٌ في الدين الطبيعي» Dialogues Concerning Natural Religion المنشور عام 1779، بنقده الذي وإن كان لاذعًا، إلا أنه لم يكن حاسمًا. وحتى ديكارت تبنّى نسخةً من حجة التصميم، ففي حجته التي يسوقها في التأمل الثالث يرى أن فكرة الله أجمل من أن يكون هو ابتدعها. وعلى الرغم من أن ديكارت اعتبر نفسه ذكيًا، بل ومصممًا مبدعًا للأفكار، إلا أنه عجز عن أن يتصور نفسه من صمّم فكرة الإله الذي ابتدعه.

جمجمة لإنسان ماهر، أقدم أجدادنا صانعي الأدوات

لا بد أن الفكرة المألوفة التي تقضي بأن عجائب الكون المبهرة هي إثباتٌ على وجود الله كخالقٍ للكون هي فكرةٌ قديمةٌ لربما رافقت النوع البشري منذ نشأته الأولى، بل وربما كانت أقدم من البشر. فهل كان الإنسان الماهر[6] Homo habilis، الذي بـ«مهارته» صنع الأدوات بصورتها البدائية، يملك تصورًا ولو أوليًا وغير متضح المعالم عن وجود حاجةٍ لشيءٍ

1- Descartes, René. 1641. Meditations on First Philosophy. Paris: Michel Soly.

2- Oeuvres de Descartes, Adam, Charles, and Paul Tannery, (eds.) 1904. Paris: J. Vrin, vol. VII, p. 120.

3- يستخدم المصطلحان البديهي a priori «في وقت سابق» والاستدلالي a posteriori «في وقت لاحق» في الفلسفة (نظرية المعرفة) للتمييز بين نوعين من المعرفة، وهما التبرير أو الحجاج. إن المعرفة أو التبرير البديهي يكون مستقلًا عن الخبرة، بينما المعرفة أو التبرير الاستدلالي يكون معتمدًا على الخبرة أو الدليل التجريبي. [ملاحظة المترجم].

4- وليام پيلي هو قس وفيلسوف إنجليزي عاش في الفترة ما 1743 و1805، اهتم بقضية وجود الله والحجة الغائية. [ملاحظة المترجم].

5- Paley, William. 1800. Natural Theology. Oxford: J. Vincent.

6- الإنسان الماهر هو نوعٌ بشريٌ منقرضٌ عاش ما بين 2.1 مليون و1.5 مليون عامًا خلال فترة حقبة البلايستوسين المبكرة، وهو حلقة وسيطة بين أوسترالوپيثيكوس أفارنسيس Australopithecus afarensis (الذي تنتمي إليه العينة المسماة لوسي)، والإنسان المنتصب Homo erectus. [ملاحظة المترجم].

دانيئيل دنت

الإلحاد والتطور

كبيرٍ ذكيٍ لصناعة شيءٍ آخر أقل تعقيدًا؟ فنحن لم نشهد قطّ وعاءً يصنع صانع الأوعية أو حدوة حصانٍ تصنع حدّادًا. إن هذا التصور للتصميم الذي يضع العقل أولًا ومن تحته تتدرج تبعاته بشكلٍ هرميٍ يبدو تصورًا بديهيًّا للوهلة الأولى.

أعطاني طالبٌ يومًا كتيّبًا دعائيًا للخلقيين Creationists وفحواه مبنيةٌ على الاستبيان الوهمي التالي:

«الفحص الثاني:

هل تعرف عن بيتٍ بلا بنّاء؟ [نعم] [لا]

هل تعرف عن لوحةٍ بلا فنان؟ [نعم] [لا]

هل تعرف عن سيارةٍ بلا صانع؟ [نعم] [لا]

إن أجبت بنعمٍ عن أيٍ من الأسئلة أعلاه، فاعطِ التفاصيل: _____

_____»

هدف هذا الاستبيان توليد إحراجٍ لدى القارئ، مما سيؤدي إلى شعوره باستهجانٍ يشابه الاستهجان الذي يتولّد لدى الكثيرين (بل ربما الغالبية) عندما يتعرفون على الطرح الذي أتى به داروين لأول مرة. إذ يبدو من البديهي أن لا صنعة بلا صانعٍ وأن لا مخلوق بلا خالق، أليس كذلك؟ إمكانية العكس تُدخل الكثيرين في دوّارٍ عقليٍ ونفورٍ نراه متمثلًا بجلاءٍ في الهجوم التالي الموجه ضد داروين بُعيد نشره نظريته، حيث تم نشر الهجوم باسمٍ مجهولٍ في العام 1868:

«في النظرية التي بين يدينا نجد أن الجهل المطلق هو الصانع، بحيث يتّخذ المبدأ الأساسي القابع خلف النظام ككلٍ الشكل التالي: حتى تصنع آلةً مثاليةً وجميلةً فأنت لا تحتاج أن تعرف كيف تصنعها. فعند الفحص والتدقيق نجد أن هذا الفرض موجودٌ بشكلٍ مركّزٍ في الطرح الأساسي لهذه النظرية، وبأسلوبٍ يختزل بكلماتٍ موجزةٍ كل المعنى الذي يقدمه السيد داروين، الذي باستعماله استدلالًا عجيبًا يقلب المنطق، يبدو أنه يعتقد أن الجهل المطلق هو بديلٌ قادرٌ على أن يحل محلّ الحكمة المطلقة في كل مناحي إنجازات الفعل الخلاق»[7].

التنادد في الأطراف الأمامية للثدييات

Mammalian Forelimbs: Homologus Structures

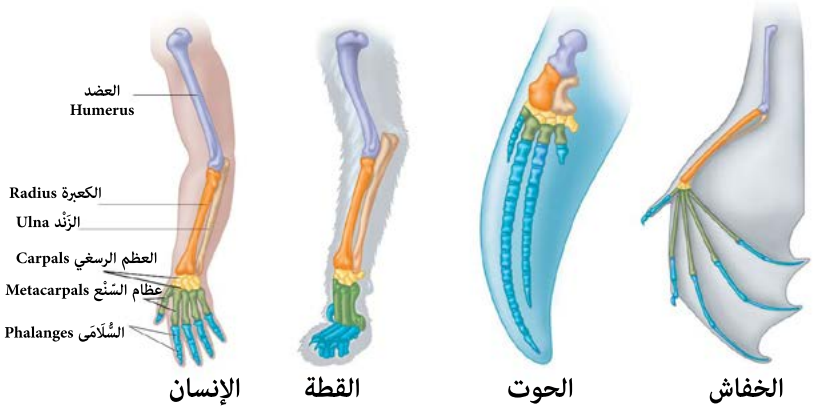

بالضبط! فهذا الاستدلال العجيب الذي «يقلب المنطق» كان أسلوب تفكيرٍ رائعٍ وجديد، قَلَب بشكلٍ تامٍ فكرة أولية العقل التي لم يستطع حتى ديڤيد هيوم نفسه التخلص منها، فاستبدلها بتدرجٍ هرميٍ يبدأ من الأسفل ينبثق فيها الذكاء Intelligence كأحد عديد منتجات العمليات الآلية غير الواعية، والمقصود هنا الذكاء الذي

7- MacKenzie, Robert Beverley. 1868. *The Darwinian Theory of the Transmutation of Species Examined*. London: Nisbet & Co. Quoted in a review, Athenaeum, no. 2102 (February 8): 217.

دانييل دنت

الإلحاد والتطور

نراه مركّزًا في ذواتٍ فاعلةٍ مشخصةٍ Anthropomorphic. إن وقود هذه العمليات هو مليارا‌تُ من التصادمات الخالية من الهدف أو التصميم، تبرز منها نسبةٌ متناهية الضآلة تقود صدفةً إلى تحسيناتٍ في السلالة التي تحدُث ضمنها. وبفضل مبدأ «التوريث مع التعديل» Descent with modification، فإن هذه الابتكارات في التصميم، والتي تمتّ تجربتها بلا هوادةٍ على مر عصورٍ طويلةٍ ستتراكم، معطيةً تصاميم مذهلةٍ لم تمسها يد مصممٍ ما عدا عملية الانتقاء الطبيعي عديمة الهدف.

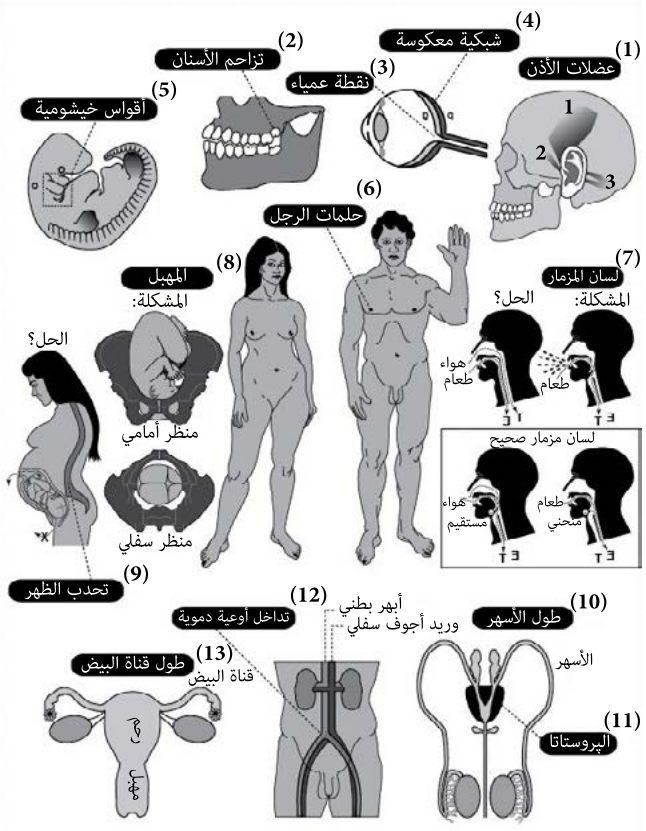

يمكننا رؤية بصمة هذه الابتكارات، والتي لم يُخطَّط لها، في كل مكانٍ عند التمعن بإبداعات الطبيعة، في تركيب الشبكية في عيون الفقاريات والمركبة بالمقلوب (ظهرًا لبطن)، أو ببقايا المورّثات والأعضاء المهملة جزئيًا في كل الأنواع، هذا عدا عن الإفراط في التبذير والقسوة الظاهرية في العديد من العمليات الطبيعية. وهذه الانحرافات عن التصميم الحكيم (عن أحسن تقويمٍ[8]) أو «الحوادث التي تجمدت عواقبها مع الزمن» Frozen accidents بحسب جملة فرانسيس كريك[9] Francis Crick المعبرة، تضع المؤمن بالله أمام معضلة، لو كان الله مسؤولًا عن هذه التصاميم، فإن ذكاء الله يشابه بشكلٍ مخيفٍ الذكاء المرتبط بالقسوة وعدم الإحساس كما نراهما لدى البشر. كذلك، ومع ازدياد فهمنا لآليات التطور، نستطيع رسم مخططاتٍ أكثر تفصيلًا لتسلسل الأحداث التي ظهرت فيها الابتكاراتُ في التصميم وكيف تم تضمينها في تفرعات شجرة الجينومات[10]. وبالتدريج نرى ظهور سرديةٍ شديدة التفصيل قادرةٌ على التنبؤ بطبيعة العمليات الخالقة، وهذه السردية تعج بالتفاصيل الداعمة لبعضها دون أدنى تناقض. وبتجمّع قطع هذه الأحجية الضخمة بوتيرةٍ متسارعة تتبيّن دونما أي شكٍ معقولٍ صحة هذه السردية بخطوطها العريضة، وبقدرٍ كبيرٍ أيضًا بتفاصيلها (وإن لم تُحسم قضية كل التفاصيل بعد) شارحةً لنا الكيفية التي تكوّنت بها التصاميم التي نراها في الكائنات الحية.

8- إضافة المترجم.

9- فرانسيس كريك (1916-2004)، عالم في البيولوجيا الجزيئية، تمكن مع جيمس واطسون في العام 1953 من اكتشاف الحمض النووي الريبي منقوص الأكسجين DNA، وهو اكتشافٌ منحهما جائزة نوبل في الطب وعلم وظائف الأعضاء عام 1962. [ملاحظة المترجم].

10- صحيفة المحتوى الوراثي أو المجموع المورثي أو المَجِين أو الشريط الوراثي (جينوم) (Genome) في علم الأحياء هو كامل تسلسل الDNA لأحد الكائنات الحية. [ملاحظة المترجم].

دانيئيل دنت

أما **الشك غير المعقول**[11] فهو في ازدهار، وذلك بفضل الجهود الدعائية المستمرة للخلقيين Creationists وأتباع التصميم الذكي Intelligent design، وبقيادة متحدثين باسمهم من أمثال وليام دمبسكي William Dembski ومايكل بيهي Michael Behe، والذين تمكّنوا للأسف من إقناع شريحةٍ كبيرةٍ من العامة بوجود خلافاتٍ علميةٍ موهومةٍ في علم الأحياء وفي التطور عبر الانتقاء الطبيعي، العمود الفقري لعلم الأحياء. هذا لا يعني خلو علم الأحياء من أي خلافات، بل على العكس، فهو يعجّ بها، لكن لا يتعلق أيٌّ منها بتحدي فكرة التطور.

والطريقة الوحيدة المشروعة لخلق زوبعةٍ في أي مبحثٍ علميٍّ هي **الإتيان بنظريةٍ بديلةٍ** تتسم بالصفات التالية:

1- تتنبأ بشيءٍ تتعارض معه النظرية السائدة بشكلٍ مباشرٍ واضحٍ ثم يتبيّن لاحقًا أنه تنبؤٌ صحيح.

2- أو تُقدم تفسيرًا مقبولًا لأمرٍ طالما حيّر المدافعين عن النظرية السائدة.

3- أو تُوحّد نظريتين متباعدتين على حساب بعض عناصر النظرية السائدة المقبولة.

إلى اليوم لم يقدّم مناصرو التصميم الذكي ولو حالةً واحدةً تحقق أيًا من هذه المعايير. إذ لا توجد تجاربٌ تعارض أيًا من معايير الداروينية الحديثة Neo-Darwinism، ولا توجد أي مشاهداتٍ تُضعضع أسس التفكير التطوري لا من السجل الأحفوري ولا الجينوميات (المجينيات) Genomics ولا الجغرافيا-البيولوجية ولا التشريح المقارن. لا توجد أي توحيداتٍ نظريةٍ بديلةٍ أو تبسيطاتٍ أو تنبؤاتٍ مفاجئةٍ ثبتت صحتها. وبالمختصر، فالمسألة لا تتعلق بالعلم وإنما بالدعاية، ولم تُطرح أي فرضيةٍ من طرف التصميم الذكي كتفسيرٍ منافسٍ لأي ظاهرةٍ بيولوجية، إذ أن صياغة فرضيةٍ منافسةٍ يقتضي من المرء الغوص في تفاصيل التقدم بمنطوياتٍ قابلةٍ للفحص التجريبي، ولكن مناصري التصميم الذكي يتجاهلون هذه المطلب زاعمين أنه لا تخطر في أذهانهم سماتٌ محددةٌ بصدد هوية أو طبيعة المصمم الذكي.

وحتى ندرك قصور هذا الموقف، لنفترض وجود فرضية تصميمٍ ذكيٍ تخيليةٍ قادرةٌ على تفسير ظهور البشر على هذا الكوكب:

«قبل ستة ملايين سنة، زار مهندسون وراثيون أذكياء الأرضَ من مجرةٍ أخرى وقرروا أن الكوكب سيصبح أكثر قيمةً لو وُجد عليه نوعٌ قادرٌ على استعمال اللغة وتكوين الدين، فقاموا بعزل بعض القردة العليا Primates (من أسلاف البشر والتشمبانزي والبونوبو) ثم أعادوا هندستهم وراثيًا فمنحوهم غريزة اللغة وفصوصًا صدغيةً متضخمةً لتمكينهم من التخطيط والتفكير، ونجح التعديل».

11- التمييز بين الشك المعقول reasonable doubt والشك غير المعقول unreasonable doubt يأتي من عالم القضاء الأميركي، حيث أن معيار البرهنة القانونية لإثبات إدانةٍ بجرمٍ ما هو ما يسمى دون شك معقول beyond a reasonable doubt، وهو معيارٌ صارم يتعلق عادةً بالجرائم التي تحتاج تمحيصًا كبيرًا. [ملاحظة المترجم].

دانيئيل دنت

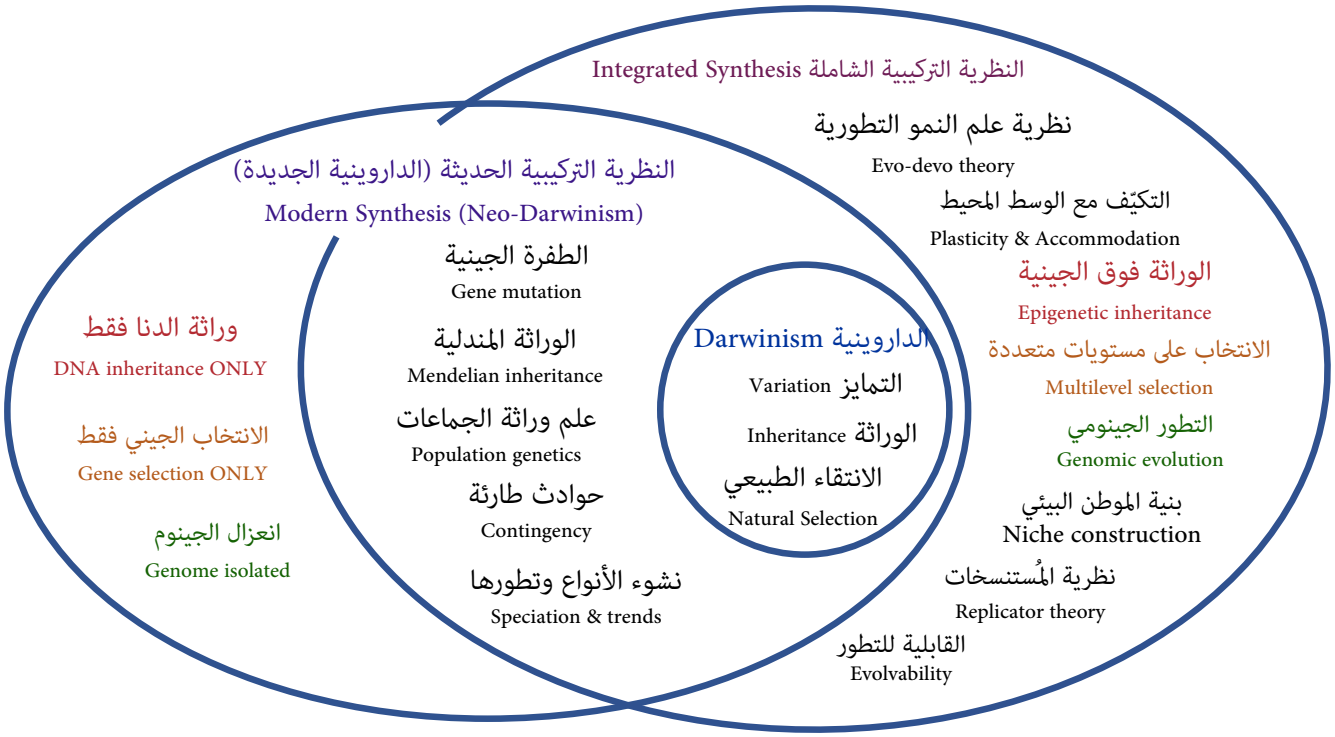

ولو كانت نسخةٌ من هذه الفرضية صحيحةً، سيكون من الممكن تفسير اختلاف البشر عن أقرب الأقارب، وستدحض كل فرضيات الداروينية الجديدة Neo-Darwinian المستعملة في دراسة هذا السؤال الهام. وستظل أمامنا مشكلة كيفية ظهور المهندسين الوراثيين الأذكياء على كوكبهم الأم، ولكن نستطيع تجاهل هذا التعقيد مؤقتًا، نظرًا لانعدام أي دليلٍ لصالح هذه الفرضية. وغياب أي دليلٍ داعمٍ لها ولأي فرضية تصميمٍ ذكيٍّ هو أمرٌ يتجنب أتباع التصميم الذكي مناقشته. ففرضيتي الوهمية أعلاه، والتي رغم ضعف احتمالها تظل ممكنةً، تتميز بأنها قابلةٌ للفحص من حيث المبدأ، إذ نستطيع فحص جينومات الإنسان والتشمپانزي باحثين عن آثار العبث فيهما على يد هؤلاء المهندسين الوراثيين (ربما مثلًا تركوا توقيعهم على شكل رسالةٍ مشفّرةٍ في الحمض النووي للبشر!). إن إيجاد «دليل مستخدم» متضمّنًا داخل فضلات الحمض النووي[12] Junk DNA والذي يمثل غالبية الجينوم البشري سيكون اكتشافًا جديرًا بجائزة نوبل وضربةً قاصمةً تُوجهها جماعة التصميم الذكي للتطور، ولكنهم لو كانوا يبحثون أصلًا عن ذلك فهم لم يخبروا أحدًا ببحثهم. إنهم يدركون أن الصمت أفضل. وإنه لمن السخرية أن حجة الاستدلال على التصميم Design inference التي قدّمها ويليام دمبسكي يفترض فيها أن تُقدّم فحصًا مضمون النتيجة لإيجاد هذه الدلائل التي تشير إلى تلاعبٍ ذكيٍ في السلالة السببية للظواهر، وبدلًا من البرهنة بإجراء الفحص، يكتفي دمبسكي[13] بملاحظة أن وجهة نظر التصميم الذكي «تشجع علماء الأحياء على تقصي ما إذا كانت الأنظمة التي تبدو بلا وظيفةٍ للوهلة الأولى تمتلك بالفعل وظيفةً ما»، ولا يوجد أحد من الداروينيين الجدد يختلف مع اتباع هذه الاستراتيجية.

12- الدنا غير المُشفَّر أو الدنا الخردة noncoding DNA هي أجزاء من الدنا (DNA) لا تقوم بتشفير وإنتاج متسلسلات البروتين. بعض الدنا غير المشفر ينسخ إلى جزيئات رنا RNA غير مشفرة ذات وظيفة. [ملاحظة المترجم].

13- Dembski, William. 2005. "In Defense of Intelligent Design." Http://www.designinference.com. Forthcoming in Philip Clayton (ed)., *Oxford Handbook of Religion and Science*.

دانيئيل دنت

الإلحاد والتطور

إن المنافسة معدومةٌ بين القصة التطورية الغنية، دائمة التفرّع من جهةٍ والانعدام التام للتفاصيل وغموض لغز الفعل الإلهي الخالق لكل المخلوقات، صغيرها وكبيرها من جهةٍ أخرى. ينطوي هذا الأمر على انقلابٍ عظيمٍ في هذه النظرة مقارنةً بالمعتقد الذي ساد قديمًا بأن من الممكن استنطاق عجائب الطبيعة للتدليل على وجود الله. فكلّ من صدمه التعقيد المذهل والتعدد الهائل في عالم الأحياء فكّر متسائلًا: مَنْ غير الله يمكن أن يكون مسؤولًا عن كل هذا، ذاك الشخص أمامه اليوم بديلٌ معقولٌ عن تلك النظرة، لكنه بديلٌ يملك قدرةً تفسيريةً مذهلةً تدعمُه حرفيًا آلاف التنبؤات النظرية التي تم تأكيدها بالمشاهدة، والألغاز التي تم حلها. قام ريتشارد دوكنز Richard Dawkins بوصف ذلك بشكلٍ واضحٍ إذ قال: «لقد كان الإلحاد إمكانيةً منطقيةً معقولةً قبل داروين، لكن داروين مكّن الملحد من الوصول إلى مرحلة اتساقٍ فكري»[14].

پول ديڤيز

إن تقويض دعائم أفضل حجةٍ على وجود الله لا يرقى طبعًا إلى إثباتٍ على عدم وجود الله، ونجد العديد من المفكرين الذين أقروا بالتطور عبر الانتخاب الطبيعي كتفسيرٍ لعجائب عالم الأحياء شرعوا بالبحث عن دعائم بديلةٍ لإدامة إيمانهم بالله، ذلك أن فكرة اعتبار العقل كنتيجةٍ بدل أن يكون سببًا أولًا هي فكرةٌ ثوريةٌ أكثر من اللزوم بالنسبة للبعض. فنرى مثلًا أن ألفرد راسل والاس Al-fred Russel Wallace، الذي اكتشف الانتخاب الطبيعي بالتزامن مع داروين، لم يستطع قبول قلب الأدوار هذا بشكلٍ تامٍ حين قال: «لا بد أن التعقيد المذهل للقوى التي تبدو مسؤولةً عن التحكم بالمادة، بل وحتى تشكيل المادة، هو ناتجٌ من منتجات عقل»[15]. وقبل فترةٍ ليست ببعيدة، رأى الفيزيائي پول ديڤيز Paul Davies في كتابه «عقل الله» The Mind of God أن قدرة عقول البشر على التفكّر «ليست تفصيلًا تافهًا، ولا هي منتَجٌ ثانويٌ لقوًى عبثيةٍ غير عاقلة»[16]. إن هذا الأسلوب في التعبير يكشف عن نمطٍ مألوفٍ من الإنكار، فهو يشي بوجود تحيزٍ لم يتمعن صاحبه بفحصه. فقد نسأل ديڤيز: ما الذي يجعله تافهًا إن كان منتَجًا ثانويًا لقوًى عبثيةٍ غير عاقلة؟ ما السبب الذي يمنع أهم الأشياء من الانبثاق مما هو أقل أهمية؟ لماذا كان على الأهمية أو الامتياز أن يأتيا من أعلى، من شيءٍ أكثر أهمية، كأعطيتين من الله؟ إن مؤدى الانقلاب الذي أحدثه داروين هو هجران هذا الافتراض المسبق والبحث عن أنواعٍ من الامتياز والقيمة والهدف المنبثقة لا من الأعلى وإنما من أسفل، كالفقاقيع من تحت الماء، من «قوًى عبثيةٍ غير عاقلة».

ولكن قبل أن نستقر على هذه النظرة التي ترى أن الأهمية تنبثق من الأسفل إلى الأعلى، علينا أن نتقن التعامل مع بقايا

14- Dawkins, Richard. 1986. *The Blind Watchmaker*. London: Longmans, p. 6.

15- Quoted by Gould, Stephen Jay. 1985. *The Flamingo's Smile*. New York: Norton, p. 397.

16- Davies, Paul. 1992. *The Mind of God*. London: Simon and Schuster., p. 232.

دانيئيل دنت

الشك الذي يأتي مع النظرة التقليدية التي ترى أن الأهمية تأتي من الأعلى: فحالما ينطلق التطور غير الموجّه وغير العاقل، سيقوم بتوليد تصميمٍ عظيمٍ مع الوقت، ولكن كيف بدأت العملية؟ ألسنا بحاجةٍ إلى الله ليشعل شرارتها بتجميع الخلية الأولى التي ما كانت لتتجمع لولا المعجزة الإلهية؟ ثمة اتجاهان متضادان يحددان الاهتمام، لا بل الشغف، المحيطين بالأبحاث المعاصرة في أصل الحياة: الأمل بهذه المعجزة إضافةً إلى الاعتقاد المضاد بأن عملياتٍ طبيعيةٍ احتمال حدوثها قليلٌ (لكنه ليس معدومًا) قادرةٌ على تفسير أصل الحياة. لم يتم تحديد تفاصيل العملية بشكلٍ حاسمٍ بعد، لكن تم الآن التوثق من أن العالم السابق على وجود الأحياء وُجدت فيه لبنات بناءٍ لا تقتصر على الأحماض الأمينية والمركبات العضوية البسيطة، وإنما تتعداها لجزيئاتٍ أعقد، والمشكلة التي تواجه الباحثين اليوم لا تتمثل بلغزٍ غير قابلٍ للفهم وإنما بغنى الاحتمالات، إذ يوجد كمٌ مهولٌ من الاحتمالات التي لم يتم استبعادها بعد. والاعتقاد الذي كان يقول بضرورة وقوع معجزةٍ وخرقٍ مؤقتٍ لقوانين الفيزياء والكيمياء لتمكين الحياة من البدء هو اعتقادٌ فقد جدواه تمامًا الآن.

ولكن هذا يقودنا إلى قوانين الفيزياء والكيمياء نفسها، ألا تحتاج هذه القوانين تفسيرًا؟ إن كان الله قد فقَد صفة الصانع المبدئ، ماذا عن صفة واضع القوانين؟ لقد كان هذا الاقتراح شائعًا منذ الأيام الأولى لظهور التفكير الداروينيي، بل إن داروين نفسه انجذب في وقتٍ ما لذلك الاحتمال، ففي رسالةٍ من العام 1860 وجّهها لعالم الطبيعيات الأميركي إيسا غريه Asa Gray، وهو أحد المناصرين الأوائل لداروين، يقول داروين: «أميل إلى رؤية كل شيءٍ كناتجٍ لقوانين مصمَّمة، أما تفاصيل تطبيقها، جيدةً كانت أو سيئةً، فيعود إلى ما يمكن أن نسميه بالصدفة»[17].

حتى العمليات الآلية Automatic processes كثيرًا ما تكون منتجاتٍ تنطوي على كثيرٍ من الروعة، فمن وجهة نظرنا اليوم، ندرك عبقرية مخترعي غيار السيارة الآلية (الأوتوماتيكي) والأبواب التي تفتح وتغلق آليًا، وتكمن عبقريتهم في خلقهم أشياءَ تقوم بأفعالٍ تبدو «ذكيةً» دون حاجةٍ إلى أن تفكّر. وكنوعٍ من المفارقة التاريخية Anachronism، دعونا نقل أن الأمر سيبدو من منظور بعض المراقبين من عصر داروين وكأننا تركنا فسحةً لله ليقوم بتصميم أداةٍ تنتج التصاميم بشكلٍ آلي، وهذا التصور لم يكن نوعًا من الترقيع المؤقت، وإنما كتحسينٍ إيجابيٍ على الفكرة التقليدية المتوارثة. ولو نظرنا إلى الإصحاح الأول من سفر التكوين، نجد أن كل دفعةٍ من الخلق تنتهي بالآية المكررة التي تقول: «وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ»، وما فعله داروين هو أنه اكتشف طريقةً تزيل الحاجة لهذا الفحص الذي يحكم على جودة المنتج، فالانتخاب الطبيعي يقوم بتلك المهمة دون حاجةٍ لأي تدخلٍ إضافيٍ من الله. (كان الفيلسوف غوتفريد ڤيلهلم لايبنتز Gottfried Wilhelm Leibniz في القرن السابع عشر قد

17- Darwin, Francis. 1911. *The Life and Letters of Charles Darwin*. 2 vols. New York: Appleton (original edition, 1887), p. 105.

دانيئيل دنت

روّج لتصورٍّ مشابهٍ لله الخالق الذي لا يتدخل). وبكلمات هنري وورد بيتشر Henry Ward Beecher: «إن التصميم بالجملة لهو أعظم من التصميم بالمفرّق»[18]. أما إيسا غريه الذي افتُتِن بفكرة داروين الجديدة، فقد بذل قصارى جهده للتوفيق بينها وبين معتقده الديني التقليدي ما استطاع، فخرج بتوفيقٍ مريحٍ مفاده أن الله تعمّد وجود «تدفقٍ من التنوع» وأدرك سلفًا الكيفية التي ستشذّب قوانين الطبيعة التي صاغها هو هذا التدفق على مر العصور. وكما لاحظ جون ديوي John Dewey بشكلٍ ملائمٍ لاحقًا[19] لاجئًا إلى مجازٍ آخر من عالم التجارة: «لقد تمسّك غريه بما يمكن تسميته تصميمٌ بالاعتماد على خطة الدفع بالأقساط».

فما هو الفرق بين الترتيب Order والتصميم Design؟ كتعليقٍ أوليٍ يمكننا القول بأن الترتيب أو النسق هو وجود الانتظام Regularity، وجود نمط Pattern، أما التصميم فهو ما أسماه أرسطو الغاية أو المنتهى τέλος، وهو استغلال الترتيب لتحقيق هدف، كالترتيب الذكي الذي نراه في تصميم الطائرة مثلًا. يوجد في النظام الشمسي ترتيبٌ جبار، لكنه لا يملك هدفًا (كما يبدو)، فوجوده لا يخدم غرضًا ما. أما العين بالمقارنة، فهي للنظر. ولم يكن التمييز بين الأمرين واضح المعالم قبل مَقدم داروين، بل إن الحد الفاصل بينهما كان مغبشًا:

كليانثس

«قام الأقويني[20] في القرن الثالث عشر بطرح نظرةٍ تقول أن الأجسام الطبيعية (كالكواكب، وقطرات المطر والبراكين) تتصرف كما لو كانت منساقةً نحو هدفٍ أو غايةٍ محددة،"بهدف تحقيق أفضل النتائج". هذا التناسب بين الغايات ووسائل تحقيقها يؤدي، بحسب الأقويني، إلى وجود القصدية أو النية. وبما أن الأجسام الطبيعية تفتقد للوعي، فلا يمكن أن توفر هذه القصدية من تلقاء ذاتها. "لهذا السبب، فلا بد من وجود كائنٍ ذكيٍ يوجّه الأشياء الطبيعية نحو أهدافها، وهذا الكائن نسمّيه الله"»[21].

يقوم كليانثس في «محاورات» هيوم[22] بأمرٍ على نفس النسق، حين يدمج التكيّفات المذهلة من عالم الأحياء مع الانتظام المشاهَد في السماء، فكل ذلك يَظهر له كآليةٍ متناغمة. لكن داروين اقترح فصلهما إذ قال: أعطني الترتيب والزمن الكافي، وسأعطيك التصميم. سأبدأ من الانتظام، أي من الانتظام المتأتي من الفيزياء، الانتظام الذي لا هدف أو غاية أو توجيه له، وسأريكم عمليةً ستولّد في المحصلة منتوجاتٍ تتسم لا

18- Rachels, James. 1991. *Created from Animals*: *The Moral Implications of Darwinism*. Oxford: Oxford University Press, p. 99.

19- Dewey, John. 1910. *The Influence of Darwin on Philosophy*. New York: Henry Holt; Bloomington: Indiana University Press, 1965, p. 12.

20- توما الأقويني (الأكويني) Tommaso d'Aquino هو راهب دومينيكاني عاش في الفترة ما بين 1225 و1274، وهو من أهم فلاسفة ولاهوتيي التراث الكاثوليكي وله أثر في مدارس فلسفية عديدة، ومن أبرز مساهماته حججه في محاولة إثبات وجود الله. [ملاحظة المترجم].

21- Davies, Paul. 1992. *The Mind of God.* London: Simon and Schuster, p. 200.

22- المقصود هنا شخصية كليانثس كما وردت في كتاب «محاورات في الدين الطبيعي» الذي كتبه هيوم على لسان فيلون Philo، الذي مثّل دور الشكّاك، ديميان Demea الذي مثّل دور رجل دينٍ تقليديٍ من عصر هيوم، وكليانثس Cleanthes الذي اتخذ منحًى إمبيريقيًا (تجريبيًا) فلسفيًا تجاه الدين. [ملاحظة المترجم].

دانييل دنت

بالانتظام وحسب، بل وبالتصميم الهادف أيضًا. (كان هذا ما تراءى لكارل ماركس حين أعلن أن داروين قد وجّه ضربةً قاضيةً لفكرة الغائية Teleology: حيث اختزل داروين الغائية إلى اللاغائية، عندما اختزل التصميم إلى الترتيب).

وستوضح الصورة إحدى الأفكار الأحدث بصدد هذا الفرق، وفي ذات الوقت العلاقة اللصيقة، بين التصميم والترتيب، وهذه الفكرة هي الطرح الذي كان الفيزيائي إرڤن شرودنغر Erwin Schrödinger أول من ساعد بنشره[23]، والذي ينص على أن من الممكن تعريف الحياة بدلالة القانون الثاني في الديناميكا الحرارية. ففي الفيزياء، يمكن قياس الترتيب أو التنظيم بواسطة التباينات في الحرارة heat بين المناطق المكانية الزمانية المختلفة، حيث تُستخدم الإنتروپيا Entropy لقياس مدى غياب الترتيب (أو الفوضى)، وبحسب القانون الثاني في الديناميكا الحرارية، فإن إنتروپيا أي نظامٍ معزولٍ تزداد أو تبقى ثابتةً مع الزمن ولكنها لا تقل. أي بعبارةٍ أخرى، فكل شيءٍ يبلى مع الوقت، لا محالة. وبحسب القانون الثاني، فإن الكون ينحدر من حالةٍ أكثر ترتيبًا إلى حالةٍ ينعدم فيها الترتيب تمامًا، وهي الحالة المعروفة باسم الموت الحراري للكون Heat death of the universe. فما هي الكائنات الحية إذًا؟ إنها أشياءُ تتحدى هذا التداعي نحو الخراب، بشكلٍ مؤقتٍ على الأقل، وتُنجز ذلك بكونها أنظمةً غير معزولة، فهي تستخرج من محيطها ما تحتاجه لإبقاء نفسها على قيد الحياة وللحفاظ على أجسامها. ويلخص عالم النفس ريتشارد غريغوري Richard Gregory الأمر على النحو التالي:

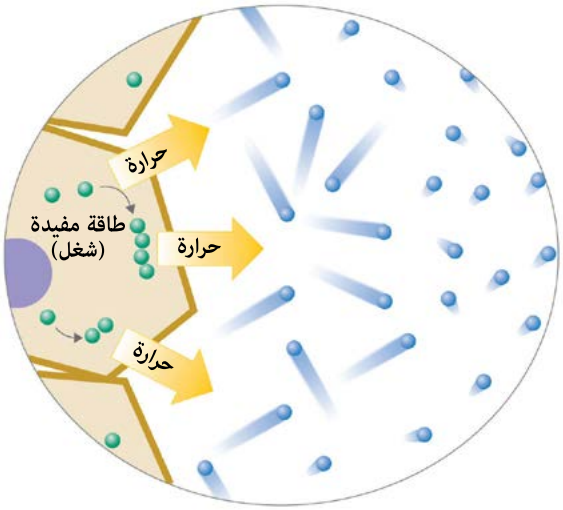

مجموع التغير في إنتروپيا الكائن الحي+التغير في إنتروپيا محيطه يزيد دومًا مع الوقت، حتى لو قلّت إنتروپيا الكائن نفسه

«إن طبيعة سهم الزمن (اتجاه الزمن) الذي تُحدده الإنتروپيا، أي فقدان التنظيم، أو فقدان تباينات درجة الحرارة، هي طبيعةٌ إحصائية، فهي عرضةٌ لانعكاساتٍ محليةٍ على نطاقٍ محدود، ومن أبرز الأمثلة: الحياة، وهي عكسٌ منظَّمٌ للإنتروپيا، والذكاء الذي يخلق بُنًى وفروقاتٍ في الطاقة تعاكس اتجاه "الموت" التدريجي المفترض للكون الفيزيائي عبر الإنتروپيا»[24].

ويستمر غريغوري ناسبًا الفضل لداروين في طرح الفكرة الأساسية التي جعلت ذلك ممكنًا: «صار من الممكن الآن قياس مفهوم الانتقاء الطبيعي باعتباره ما يزيد في تعقيد وترتيب الكائنات عبر الزمن البيولوجي». والأمر لا يقتصر على الكائنات المفردة، وإنما عملية التطور التي تخلقهم بأسرها، والتي تُرى عندئذٍ كظاهرةٍ فيزيائيةٍ أصيلةٍ تسير بعكس تيار الزمن الكوني.

23- Schrödinger, Erwin. 1967. *What Is Life?* Cambridge: Cambridge University Press.

24- Gregory, Richard L. 1981. *Mind in Science: A History of Explanations in Psychology and Physics.* Cambridge: Cambridge University Press, p. 136.

دانيئيل دنت

فالشيء المُصَمم إذًا هو إما كائنٌ حيٌ أو جزءٌ من كائنٍ حي، أو هو نتاج كائنٍ حي، يتم تنظيمه في كلٍ من تلك الحالات بمساعدة هذه المعركة ضد ازدياد الفوضى. إن مقاومة نزعة زيادة الفوضى التي يقتضيها القانون الثاني ليست مستحيلةً، ولكنها مكلفة، ويقدم غريغوري هذه النقطة بصورةٍ دراميةٍ يصعب نسيانها. فكتعبيرٍ عن اتجاهية الزمن التي يفرضها القانون الثاني في الديناميكا الحرارية، تقدّم الكتب الدراسية عادةً مثال البيضة المخفوقة التي ليس من الممكن إعادتها سليمةً (غير مخفوقة). ليس الأمر مستحيلًا، لكنه يقتضي جهدًا مكلِّفًا بشكلٍ مذهلٍ ومعقدٍ وبشكلٍ يعاكس نزعة القانون الثاني على طول الطريق. والآن تأملوا التالي: ما تكلفة صناعة جهازٍ يأخذ بيضةً مخفوقةً كمُدخَلٍ ويعطي بيضة سليمةً كمُخرَج؟ هنالك جوابٌ جاهز: ضع دجاجةً حيةً داخل الصندوق! أطعم الدجاجة بيضًا مخفوقًا، وستستطيع صناعة بيضٍ سليمٍ لك على مدى فترةٍ ما. إننا لا نفكر بالدجاجة عادةً ككيانٍ شبه معجزٍ في التعقيد، ولكن ها هنا أمرٌ تتقن الدجاجة عمله، وذلك بفضل التصميم الذي رتبها، وهو أمرٌ لا زال بعيدًا كل البعد عن منال الأجهزة التي خلقها المهندسون البشر.

كلما زاد التصميم الذي يُظهره شيءٌ ما، كلما زاد مقدار الجهد اللازم في مجال البحث والتطوير لإنتاجه. والعقول هي من أكثر الكيانات تصميمًا (وذلك جزئيًا لأن العقول تصمِّم أيضًا نفسها)، ولكن هذا يعني أنها من بين أكثر النتائج العملية الخلّاقة تعقيدًا (لحد الآن)، وليس، كما كان التصور القديم يعتقد أنها السبب أو المصدر لتلك العملية. وناتج عمل العقول (مصنوعات البشر التي كانت نقطة انطلاق نموذجنا الأولي) هو بدوره ناتجٌ سيحتاج تصميمًا أكبر. قد يبدو هذا الاستنتاج عكس المتوقع للوهلة الأولى. يمكننا مثلًا أن نتخيل أن قصيدة جون كيتس John Keats المشهورة «أنشودةٌ إلى بلبل» Ode to a Nightingale قد تبدو مستحقةً لأن تكون سليلة بحثٍ وتطويرٍ أكبر من البلبل نفسه، أو على الأقل هكذا قد يبدو الأمر لشاعرٍ جاهلٍ بعلم الأحياء، ولكن ماذا عن جهد البحث والتطوير اللازم لإنتاج مشبك الورق؟ من الواضح أن تصميم مشبك الورق يبدو تافهًا إذا ما قورن بتصميم كائنٍ حي، مهما كان ذلك الكائن بدائيًا. فمن منظورٍ بديهي، يبدو هذا الاستنتاج صحيحًا، ولكن فكروا قليلًا. ضعوا أنفسكم مكان بيلي Paley لوهلة: تتمشون على شاطئٍ يبدو مهجورًا على كوكبٍ غريب، أي اكتشافٍ سيذهلكم أكثر: أن تجدوا محارةً، أم أن تجدوا شبكة صيد محار؟ قبل أن يصنع ذلك الكوكب شبكة صيد محار، عليه أولًا أن يصنع صانع شبكة جمع المحار، وهذا أمرٌ يستغرق تصميمًا أكثر بكثيرٍ من تصميم محارة.

إن نظريةً بالهيكل المنطقي الذي تملكه نظرية داروين هي الوحيدة القادرة على تفسير ظهور الأشياء المصمَمة، إذ أن أي تفسيرٍ آخر سيؤدي إلى الدخول في حلقةٍ مفرغةٍ أو إلى تسلسلٍ لانهائي[25]. كان أسلوب التفكير القديم الذي يعطي العقل

25- Dennett, Daniel. 1975. "Why the Law of Effect Will Not Go Away." *Journal of the Theory of Social Behaviour* 5: 179–87.

دانيئيل دنت

الإلحاد والتطور

الأولوية، يؤيد مبدأ أن إنتاج الذكاء لا يأتي إلا من ذكاءٍ قبله أنتجه، أو بحسب التعبير الذي يستعمله الأطفال في تبادل الاتهامات أثناء الجدال: «تحتاج أن تكون كاذبًا لتكتشف من الكاذب»، لكن جملةً واصفةً أكثر إقناعًا في هذه الحالة تكون: «تحتاج ذكاءً كبيرًا لتصنع ذكاءً أقل شأنًا». وأي وجهة نظرٍ مبنيةٌ على هذه الجملة تواجه سؤالًا محرجًا كما لاحظ هيوم: إذ لو قام الله بخلق وتصميم كل هذه الأمور الرائعة، فمن خلق الله؟ إله الله؟ ومن خلق إله الله؟ إله إله الله؟ أم لعل الله خلق نفسه؟ هل احْتاج ذلك منه جُهدًا؟ هل استغرقه الأمر وقتًا؟ الأفضل ألّا تسأل! طيب، لعل من الأفضل أن نسأل بدل ذلك عما لو كان اعتماد هذا التعليل يُقدم ميزةً على رفض مبدأ أن الذكاء (أو التصميم) لا بد أن يتولد من ذكاء. الواقع أن داروين قدّم مسلكًا تعليليًا يعزز بصيرة پيلي: من حيث أن الجهد الحقيقي تم استثماره في تصميم الساعة، والجهد لا يأتي بالمجان. ويلخص ريتشارد دوكنز Richard Dawkins هذه النقطة قائلًا:

«إن التعقيد المنظَّم هو الأمر الذي نجد صعوبةً في تفسيره. لو افترضنا أننا بدأنا من نقطةٍ ما ذات تعقيدٍ منظَّم، كمحرك استنساخ جُزيء الـ (دي إن إيه والبروتين DNA/protein replicating en-gine)، فمن السهل نسبيًا المضي قدمًا لاعتبار تلك الآلية مولّدًا لتعقيدٍ أكثر تنظيمًا... ولكن أي إلهٍ قادرٍ على التصميم الذكي لشيءٍ بتعقيد محرك الاستنساخ ذاك، لا بد أن يكون على الأقل بتعقيد وتنظيم المحرك نفسه... فتفسير أصل هذه الآلية باللجوء إلى مصممٍ خارقٍ ليس تفسيرًا لشيءٍ فعليًا، إذ أنه يترك أصل المصمِم نفسه بلا تفسير»[26].

ثم يتابع دوكنز: «إن الشيء الذي يمنح نظرية التطور قوّتها هو أنها تفسر ظهور التعقيد المنظَّم من البساطة البدائية»[27]. رغم ذلك، فتلك البساطة البدائية تتسم بالترتيب، وماذا عن قوانين الطبيعة نفسها؟ أليست تلك القوانين دلالةً على وجود من وضعها؟ يصوغ الفيزيائي وعالم الكونيات فريمن دايسون Freeman Dyson هذه النقطة بحذر: «لا أدّعي أن معمار الكون يثبت وجود الله. أدّعي فقط أن معمار الكون متّسقٌ مع فرضية أن العقل يلعب دورًا جوهريًا في سير وظائف الكون»[28]. وكما لاحظ دوكنز، فبما أن فرضية أن العقل (بتعقيده وتنظيمه) يلعب دورًا لا يمكن أن تكون تفسيرًا، علينا أن نسأل: مع أي نوعٍ من الفرضيات يتسق معمار الكون إذًا؟ هنالك العديد من الفرضيات.

مع ازدياد معرفتنا عن تطور الكون منذ البيغ بانغ Big bang، وعن الظروف التي سمحت لتكوّن المجرات والنجوم والعناصر الكيميائية الثقيلة اللازمة لتكوّن الكواكب، صار الفيزيائيون وعلماء الكونيات يرون أكثر وأكثر مدى حساسية قوانين الطبيعة. تبلغ سرعة الضوء 300 مليون متر في الثانية. ماذا لو كانت 290 مليون مترٍ في الثانية؟ أو 310 مليون

26- Dawkins, Richard. 1986. *The Blind Watchmaker*. London: Longmans, p. 141.

27- Ibid. p. 316.

28- Dyson, Freeman. 1979. *Disturbing the Universe*. New York: Harper and Row, p. 251.

دانييل دنت

مترٍ في الثانية؟ هل سيغير ذلك الأمور جذريًا؟ ماذا لو كانت قوة الجاذبية أقوى بواحدٍ في المئة أو أضعف بواحدٍ في المئة عمّا هي عليه الآن؟ إن الثوابت الفيزيائية الأساسية، كسرعة الضوء، وثابت الجذب العام، وشدّة القوى النووية الشديدة والضعيفة المؤثرة في التفاعلات الدون ذرية، وثابت بلانك Planck constant، كلها لها قيمٌ تسمح طبعًا بتطور الكون على النحو الذي سار عليه الكون فعلًا. ولكن، يتبين أننا لو تخيلنا أننا نستطيع تغيير أيٍّ من هذه القيم ولو بمقدارٍ ضئيل، فإننا نولّد كونًا ليس فيه أيٌّ مما حصل في كوننا فعلًا، نولّد كونًا لا تظهر فيه أيٌّ من مظاهر الحياة: لا كواكب، ولا أغلفة جوية، ولا جوامد، ولا عناصر سوى الهيدروجين والهيليوم، أو حتى ربما دونهما، فالناتج يكون بلازما[29] ساخنةً مملةً غير متمايزة، أو بسيناريو آخر، خواءً مملًا. إذًا، أليست حقيقةً رائعةً إذًا أن قوانين الطبيعة جاءت مواتيةً بالضبط لوجودنا؟ بل حتى يمكن أن نقول كذلك أننا بالكاد وُجدنا، وكنا نوشك على ألّا نوجد!

هل تحتاج هذه الحقيقة الرائعة تفسيرًا، وأي تفسيرٍ سيلائمها؟ بحسب المبدأ الأنثروپي Anthropic Principle، فإننا مخوّلون بالاستدلال إلى حقائق عن الكون وقوانينه من الحقيقة التي لا نقاش فيها بأننا (أي البشر Anthropoi[30]) موجودون هنا لنقوم بالاستدلال والمشاهدة. يتخذ المبدأ الأنثروپي صورًا عدةً، فبصورته «الضعيفة» هو مبدأٌ سليم، غير مؤذ، بل أنه تطبيقٌ مفيدٌ للمنطق الأولي: **لو كان س شرطًا ضروريًا لوجود ص، وكان ص موجودًا، فإن س موجود.** أما الذين يعتقدون بأي صورةٍ من الصور «القوية» للمبدأ الأنثروپي فهم يعتقدون أنهم يستطيعون استنباط شيءٍ رائعٍ ومفاجئٍ من حقيقة أننا مشاهدون واعون وموجودون هنا، كأن يقولوا مثلًا أن الكون موجودٌ لأجلنا بمفهومٍ ما، أو ربما أننا موجودون لأجل أن يوجد الكون ككل، أو حتى أن الله خلق الكون على الصورة التي خلقه بها حتى يكون وجودنا نحن ممكنًا. عند صياغة المبدأ على هذه الصورة، فإن هذه الطروحات هي محاولاتٌ لإحياء حجة پيلي من التصميم، من خلال إعادة توجيهها إلى تصميم قوانين الفيزياء الأكثر عموميةً في الكون، بدلًا من البنى التي تدين بوجودها لهذه القوانين. وفي هذه الحالة كذلك، فثمة ردودٌ داروينيةٌ ممكنة.

أجرأ تلك الردود ينص على أنه ربما كان هنالك نوعٌ من التكاثر التفاضلي للكون ككل، تكون فيه لبعض صنوف الأكوان «أطفال» أو «ذُرّية» أكبر من صنوفٍ أخرى، نظرًا لكون قوانينها الطبيعية أكثر خصوبةً. وقد لعب هيوم على لسان فيلون بهذه الفكرة في «حوارات حول الدين الطبيعي» عندما تخيل إلهًا مصمِّمًا غير ذكي[31]:

«ويا لها من مفاجأةٍ سنضطر للتعامل معها لو كان صانعًا غبيًا، قلّد غيره، ونسخ فنًا تطور تدريجيًا عبر أزمنةٍ متطاولةٍ وتجارب عديدة، وأخطاءَ وتصحيحاتٍ وتشاوراتٍ وخلافات؟ ستكون هنالك عوالم عديدةً تم تخريبها والفشل في تنفيذها منذ الأزل، قبل الوصول إلى النظام الحالي، وتم إهدار الكثير من الجهد، وإنتاج الكثير من المحاولات العقيمة، واستمر

29- حالة البلازما المقصودة هي حالة تأيّن قصوى لا تتكون فيها ذرات قادرة على الدخول في مركبات كيميائية. [ملاحظة المترجم].

30- الكلمة هنا من اليونانية ἄνθρωποι وهي صيغة الجمع من ἄνθρωπος للإشارة إلى الإنسان. [ملاحظة المترجم].

31- رغم الترجمة الممتازة التي قدمها محمد فتحي الشنطي، من منشورات مكتبة القاهرة الحديثة، الطبعة الأولى، 1956، لمحاورات هيوم، فقد آثرت إعادة الترجمة انطلاقًا من النص الإنجليزي الموجود في المقال، لكون ترجمة الشنطي لا تفي بعض التعابير ذات المعاني المحددة في الفيزياء حقها. راجعوا ترجمة الشنطي ص. 71، ثم لاحقًا في اقتباسٍ آخر أدناه ص. 93، وإن كنت اقتبست بعض جمل تلك الترجمة في مواضع.

دانييل دنت

التحسين المتواصل على مر عددٍ لانهائي من الحقب تم خلالها إنتاج العوالم»[32].

ينسب هيومُ «التحسين المتواصل» للحد الأدنى من الانتقائية الذي يمارسه «الصانع الغبي»، لكننا نستطيع استبدال الصانع الغبي بشيءٍ أكثر غباءً (عديم الذكاء) دون أن نخسر القدرة الفاعلة: نستبدله بعمليةٍ داروينيةٍ تتبع خطواتٍ محددة (خوارزمية) تُجرب بين العوالم. من الواضح أن هيوم لم يعتقد أن هذا يتعدى كونه فانتازيا فلسفية، لكن الفيزيائي لي سمولين[33] Lee Smolin قام مؤخرًا بتطوير الفكرة بشيءٍ من التفصيل. والفكرة الأساسية وراء ذلك هو أن المنفردات Sin-gularities والتي يشار إليها بالثقوب السوداء، هي فعليًا حواضن ولادةٍ لأكوانٍ جديدة (ذُريّة)، تختلف فيها قيم الثوابت الفيزيائية قليلًا بشكلٍ عشوائيٍ عن قيمها في الكون الأصل (الأب). لذا، وبحسب فرضية سمولين، ما لدينا هو تكاثرٌ تفاضليٌ Differential reproduc-tion وطفرات، وهي السمات الأساسية التي تميز خوارزمية الانتقاء الداروينية. والأكوان التي يتصادف أن تكون قيم ثوابتها ملائمةً لتطور الثقوب السوداء تمتلك بحكم طبيعتها ذُريّةً أكبر، وهكذا دواليك، وهذه هي خطوة الانتقاء. وعلينا أن نلاحظ عدم وجود ما يمثل ما يقتل الأكوان في هذا السيناريو؛ فكل تلك الأكوان ستعيش ثم «تموت» بشكلٍ طبيعيٍ لاحقًا، وما يحدث هو أن لبعضها ذُريةً أكبر من غيرها. وبناءً على هذه الفكرة، فإن وجودنا في كونٍ فيه ثقوبٌ سوداء يتعدى كونه مجرد مصادفةٍ مثيرةٍ للاهتمام، لكن وجودنا في هذه الحالة ليس ضرورةً منطقيةً كذلك، وإنما هو نوعٌ من شبه الضرورة الشرطية Conditional near-necessity والتي توجد في أي نظريةٍ تطورية. والرابط، بزعم سمولين، هو الكربون، والذي يلعب دورًا في تداعي السُدُم الغازية (أو بعبارةٍ أخرى حواضن النجوم، والتي تمثل أجنة الثقوب السوداء)، ويلعب دورًا في الهندسة الجزيئية لأجسامنا.

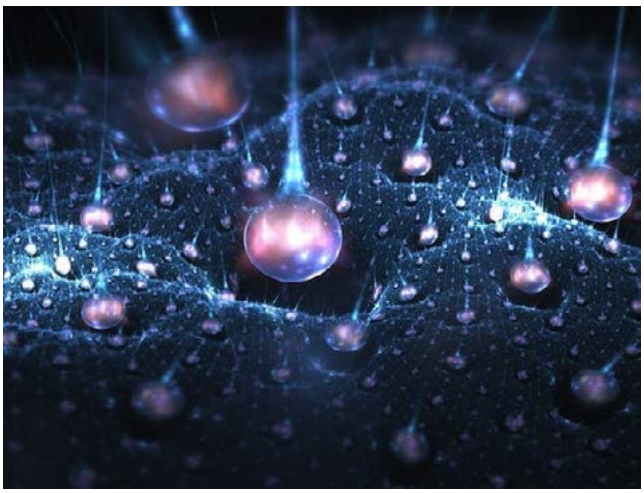

هل هذه نظريةٌ قابلةٌ للفحص؟ يتقدم سمولين ببعض التنبؤات، التي إن دُحضت يكون ذلك بمثابة استبعادٍ لفكرته: ومما تتنبأ به نظريته أن الأكوان التي تقارب قيم ثوابتها قيم ثوابت كوننا سيكون احتمال نشوء الثقوب السوداء فيها أقل. أي باختصار، يعتقد أن كوننا ستظهر فيه قيمٌ قصوى محلية[34] (وربما عالمية) في المسابقة على إنتاج الثقوب السوداء. لكن المشكلة فيما أرى

32- Hume, David. 1779. *Dialogues Concerning Natural Religion*. London, Part V.

33- Smolin, Lee. 1992. "Did the Universe Evolve?" *Classical and Quantum Gravity* 9:173–91.

34- الإشارة هنا إلى مفهوم القيم القصوى في الرياضيات، حيث أن الاقتران الرياضي عند تمثيله بيانيًا يمكن رؤية المناطق التي تصل فيها قيمته إلى قيم صغرى أو عظمى، ويمكن تخيل المسألة كسلسلة جبال، القيمة القصوى العالمية ستكون أعلى قمة في كل الجبال، القيمة القصوى المحلية تكون أعلى قمة في سلسلة محلية من الجبال. [ملاحظة المترجم].

دانييل دنت

أن المحددات على المسألة أقل من اللازم، وبالتحديد على ما سيعتبر تقاربًا من قيم الثوابت في كوننا، والسبب في اعتبارها قريبة، ولعل تفصيلًا لاحقًا للنظرية سيوضح ذلك. غنيٌّ عن الذكر القول بأن من المبكر الحكم على جدوى هذه الفكرة، ولكن أيًا كان الحكم النهائي للعلماء عليها، فمجرد وجود الفكرة يؤمّن نقطةً فلسفيةً. وقد يرتكب فريمن دايسون، وغيره ممن يعتقدون أنهم يرون نسقًا مبهرًا في قوانين الفيزياء، خطأً تكتيكيًا، فقد يغريهم السؤال الاستنكاري: «من غير الله يستطيع تفسير ذلك؟»، إذ يقدّم سمولين ردًا قويًا؛ **فلو سرنا وراء الداروينية في هذا المسلك، فسنرى الله الصانع قد تحول إلى الله مشرّع قوانين الطبيعة، والذي نراه لاحقًا يندمج مع الله الذي يجد القوانين، تلك القوانين، دون أن يخترعها، وإنما يعثر عليها صدفةً في سياق تجربةٍ وخطأٍ عمياء على الأكوان.**

إن مساهمة الله الشخصية تتضاءل، وتصبح قابلةً للإنجاز على يد شيءٍ مثابرٍ ولكن غير عاقل! ولكن لنفترض جدلًا أن تكهنات سمولين كلها مغلوطة؛ ولنفترض عدم حصول أي انتقاءٍ بين الأكوان. ثمة تكهنٌ آخر، شبه داروينية، لكنه أضعف، يقدّم هو الآخر ردًا على السؤال الاستنكاري، وقد لعب هيوم نفسه على هذه الفكرة الأضعف في الجزء الثامن من محاوراته:

«بدل الافتراض بأن المادة لانهائية مثلما افترضها إبيقور، لنفترض أنها متناهية. فلو كان عدد الجسيمات الموجودة متناهٍ، فهذه الجسيمات عرضةٌ لأوضاعٍ متناهيةٍ في عددها، وبعد مرور زمنٍ أزلي، فبالضرورة كل ترتيبٍ أو وضعيةٍ ممكنةٍ ستحدث عددًا لانهائيًا من المرات...

ولنفترض... أن المادة أُلقيت في وضعيةٍ ما، بقوةٍ عمياء غير موجَّهة؛ فمن الجلي أن هذه الوضعية الأولية ستكون على الأرجح عشوائيةً إلى أبعد الحدود، ولا تشبه في بنيتها ما ينتجه البشر من مصنوعات، والتي تكشف إلى جانب تناسب الأجزاء توافقًا بين الوسائل والغايات ونزعةٍ إلى وقاية الذات... ثم إن افترضنا أن هذه القوة المحرّكة، أيًا كانت، تستمر في فعلها في المادة، فإنه ستتعاقب على الكون الفوضى وانعدام الترتيب على مر عصورٍ طويلة. ولكن أليس من الممكن لهذه الفوضى أن تخمد في نهاية المطاف...؟ أليس من الممكن أن نرجو حدوث تلك الحالة، أو بالأحرى أن نطمئن لحدوثها في ضوء الحركات المتعاقبة على المادة منذ الأزل؟ أفليس من الممكن لهذه الحال أن تفسر ظهور الحكمة والتدبير التي في الكون؟».

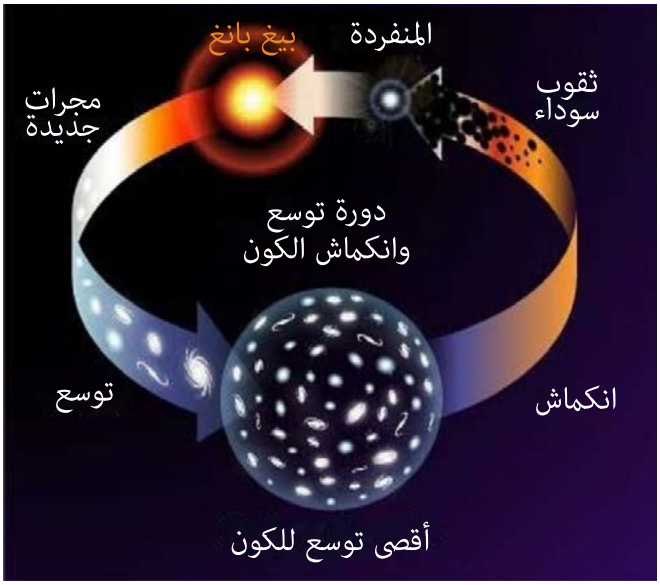

لا تعتمد هذه الفكرة على أي نسخةٍ من الانتقاء، لكنها تلفت الانتباه إلى حقيقة أن أمامنا أبديةً من الزمن كحلبةٍ لهذه الأحداث. فلا يوجد موعدٌ نهائيٌ محددٌ يقتصر على خمس مليارات عامٍ مثلًا، مثلما هو الحال مع تطور الحياة على

دانييل دنت

الأرض. وقد طرح فيزيائيون وعلماء كونيات نسخًا عديدةً من هذا التكهن بشكلٍ جادٍ على مدار السنوات الأخيرة. فجون آرتشيبالد ويلر[35] John Archibald Wheeler، مثلًا تقدّم بطرحٍ مفاده أن الكون يتذبذب جيئةً وذهابًا منذ الأزل وإلى الأبد: بيغ بانغ يتبعه توسّع يتبعه انكماش ومن ثم اِنطحانٌ كبير Big crunch، والذي يتبعه بيغ بانغ جديد، وهكذا دواليك، وفي كل دورةٍ تحدث تباينات عشوائيةٌ في قيم الثوابت وغيرها من المتثابتات[36] Parameters الحاسمة في كل. وتُجرّب كل واحدةٍ من هذه الوضعيات عددًا لانهائيًا من المرات، وكذلك تُجرب كل التشكيلات المشتقة منها عددًا لانهائيًا من المرات، بما في ذلك الوضعيات المعقولة، وتلك غير المعقولة، كلٌ منها يتكرر، لا مرةً بل بشكلٍ لامتناه.

من الصعب التصديق بأن هذه الفكرة قابلةٌ للخضوع لفحصٍ تجريبي ذي معنى، ولكن الأفضل إرجاء الحُكم[37]، فثمة تنويعاتٌ واستطراداتٌ مبنيةٌ على هذه الفكرة قد تكون لها منطوياتٌ قابلةٌ للتأكيد أو الدحض التجريبي. وفي الأثناء، يجدر التنويه إلى أن هذه الحزمة من الافتراضات لها ميزة توسعة حجم المبادئ التفسيرية الناجحة والقابلة للفحص، فالتناسق الداخلي والبساطة تعمل لصالحها، وهذا حتمًا كافٍ لدرء نزعة العودة إلى البديل التقليدي، وإليكم السبب: لو كان الكون مبنيًا بشكلٍ يسمح بتجربة كمٍّ لانهائيٍ من «قوانين الفيزياء» المختلفة على مر الزمن، فسنخطئ لو اعتقدنا بوجود ما يميز وجودنا هنا في كونٍ ذي قوانين شديدة الضبط. فكونٌ كهذا كان سيحدث إن عاجلًا أم آجلًا، مع أو بدون مساعدة إلهٍ طيب. هذا الكلام ليس حجةً أن الكون سيكون مشكّلًا على هذا النحو بالضرورة، وإنما هي حجةٌ لاستنتاجٍ أكثر تواضعًا، مفاده أنه ما من سمةٍ مشاهَدةٍ تتسم بها «قوانين الطبيعة» منزهةٌ عن هذه النظرة البديلة.

بصياغة هذه الفرضيات الدراوينية المفرطة في التكهنية والمخففة جدًا، نكون حصلنا على أداةٍ تفسيرية تؤدي مهمتها (كأي أداةٍ داروينيةٍ أخرى) عبر تراكم فعل العديد من الخطوات الصغيرة. عند هذه النقطة، فالشيء المتبقّي والذي لا زال بحاجةٍ إلى تفسيرٍ هو ما يظهر لنا كأناقةٍ أو روعةٍ موجودةٍ في قوانين الفيزياء المشاهَدة. لو كان لديك شكٌ بأن فرضية لانهائية الأكوان المتنوعة قادرةٌ على تفسير هذه الأناقة، فعليك التفكر في أن لهذه الفرضية الحق في أن تُعتبر تفسيرًا لا يصادر على المطلوب بنفس درجة البديل التقليدي؛ ومع تآكل تصور الله كشخصٍ إلى حدٍ يتحول معه إلى مبدأ من الخير أو الجمال، مجردٍ وخارج الزمن، لا يكون فيه صانعًا أو مشرّعًا لقوانين الطبيعة أو حتى باحثًا عن تلك

35- Wheeler, John Archibald. 1974. "Beyond the End of Time." In Martin Rees, Remo Ruffini, and John Archibald Wheeler (eds.), *Black Holes, Gravitational Waves and Cosmology: An Introduction to Current Research.* New York: Gordon and Breach.

36- المتثابتة هي عاملٌ قابل القياس يحدد حالةً من حالات نظامٍ ما، أو نمطًا من أنماطه الوظيفية. [ملاحظة المترجم].

37- منذ نشر الكتاب المحتوي على هذا المقال في العام 2007، حدث تطورٌ مهمٌ في علم الكونيات، وهو اكتشاف التسارع في توسع الكون، ففي عام 2011 تم نشر نتائج دراسةٍ استمرت خمس سنواتٍ راقبت 200 ألف مجرة على مدى 7 مليارات عام تبين من خلالها أن الكون يتوسع بتسارعٍ، ولا يتباطأ. راجعوا مثلًا:

Chris Blake, et al., The WiggleZ Dark Energy Survey: the selection function and z= 0.6 galaxy power spectrum, *Monthly Notices of the Royal Astronomical Society*, Volume 406, Issue 2, August 2010, Pages 803–821.

هذا الاكتشاف يؤثر في النماذج النظرية، بعض النماذج تقول أن التوسع سيتوقف عند عتبةٍ قبل حدوث تمزقٍ عظيم big rip، مما يؤدي إلى انطحانٍ عظيم big crunch، فالأمر لا يتعمد بالضرورة على وجود تسارعٍ في التوسع، من ناحية أخرى، توجد نماذج تفترض أن التوسع سيستمر إلى الأبد بسبب هذا التسارع، فالمسألة لا زالت في بداياتها وأبعد ما تكون عن الحسم. [ملاحظة المترجم].

دانيئيل دنت

القوانين، يصير منصب الله مراسيميًا لدرجةٍ يصعب معها رؤية أي فائدةٍ تفسيريةٍ لافتراض أنه موجود. فما الذي سيجلبه ذلك «التفسير» مما لم يكن موجودًا أصلًا في الوصف الرائع للظاهرة التي نحاول تفسيرها أصلًا؟ إن النظرة الداروينية لا تثبت أن الله بأيٍ من صوره المذكورة لا يمكن أن يوجد، ولكنها فقط تشير أنه ما من مسوغ عقلانيٍ جيدٍ لافتراض أنه موجود. فالأمر ليس حجةً تقليديةً تدحض فكرة وجود الله بإثبات فسادها بالتناقض Reduction ad absurdum، لكنه عبر تحدٍ عقلانيٍ يختزل خيارات المؤمن إلى مجموعة خياراتٍ محدودةٍ لدرجةٍ سخيفة. وبكلمات القس ماكّرل Reverend Mackerel، وهو شخصيةٌ في الرواية الكوميدية «ميدان ماكّرل» The Mackerel Plaza ليبتر ده ڤريز Peter De Vries من العام 1958: «إن الإثبات النهائي لقدرة الله على كل شيءٍ أنه غير محتاجٍ لأن يوجد حتى يمنحنا الخلاص».

يدعم علم الأحياء التطوري الإلحاد كذلك بشكلٍ غير مباشرٍ بتوفير إطارٍ تفسيريٍ لما يمكن تسميته أصل نسب اللاهوت Genealogy of theology، حيث إن الإيمان بالله لا يمكن تبريره استنادًا إلى أي حجةٍ علميةٍ أو منطقية، لكنه مركّبٌ أساسيٌ في كل حضارات البشر تقريبًا، فما الذي يفسر دوام هذا الإيمان؟ هذا جزءٌ لطالما تم إهماله من عبء الإثبات الذي يقع على كاهل الملحد: فلا يجب الاقتصار على تبيان المغالطات ومنابع الشك في عديد الحجج التي تم تقديمها لإثبات وجود الله، وإنما يجب أن يتعدى الملحد ذلك إلى تفسير أساس تفضيل هذا الافتراض الواهي من قبل أي شخصٍ أصلًا. لقد ظهرت على مر القرون فرضياتٌ كثيرةٌ تنظر إلى الموضوع باحتقارٍ على أنه لا يستحق الاهتمام: فمن أمثلة التكهنات الشائعة اختزاله إلى حالاتٍ عصابيةٍ Neuroses تتولد كمنتجاتٍ جانبيةٍ للحضارة، إلى تصويره مؤامرةً حاكها كهنةٌ أنانيون، إلى اعتباره غباءً مطبقًا. لكن أبحاثًا ظهرت مؤخرًا[38] في مجال علم الاجتماع التطوري Evolutionary social science تُظهر أن هنالك افتراضاتٌ أفضل وأكثر معقوليةً، وقابلةً للتوثق منها علميا، افتراضاتٌ تستحق المتابعة.

ترجمة: أسامة البني (الوراق)

المقال هو الفصل الثامن من كتاب *The Cambridge Companion to Atheism*، بقلم دانيئيل دنت Daniel C. Dennett، وهو بدوره مبنيٌ على الأعمال التالية:

Dennett, Daniel. 1995. *Darwin's Dangerous Idea*. New York: Simon & Schuster.

Dennett, Daniel. 2005. "Show Me the Science." *New York Times* op/ed page, August 28, 2005.

38- See:

a. Boyer, Pascal. 2001. *Religion Explained: The Evolutionary Origins of Religious Thought.* New York: Basic Books.

b. Atran, Scott. 2002. *In Gods We Trust: The Evolutionary Landscape of Religion.* New York: Oxford University Press.

c. Dennett, Daniel C. 2006. *Breaking the Spell: Religion as a Natural Phenomenon.* New York: Viking Penguin.

قناة جسور | Bridges.TV

قناة جسور هي منبرٌ لمن لا منبر له، وقناةٌ لحرية التعبير والتواصل والتعايش مع المختلف ولتلاقح الأفكار بصورةٍ حضارية.. صوتك مقبول هنا مهما كان.

عنوان القناة على اليوتيوب:

https://www.youtube.com/channel/UChuvYgfSwGXkLtZYmSGcAeQ

صفحة جسور على الفيسبوك:

https://www.facebook.com/Bridgestv2

انضموا إلينا في مجموعة جمهورية الردة:

https://www.facebook.com/groups/186192008960773/

إيميل القناة:

bridgestv1@gmail.com

للتواصل عبر سكايب:

Bridgestv1

لدعم القناة على الPayPal:

https://www.paypal.me/SalBridgesTV

مذكرات ملاك هارب من الجنة

وليد

وليد

مذكرات ملاك هارب من الجنة

قصة قصيرة بقلم وليد (من منتدى شبكة الملحدين العرب)
مجموعة القصص التي تأتي منها هذه القصة كتبها العضو وليد وقام بتجميعها مارسيل

إلى وليد ... القلم الساحر والمبدع ... جليس الآلهة مع التحية والود ...
مارسيل..

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 102).

قرأت هذه الآية كثيرًا ولم افهم المقصود منها ورجعت إلى كتب التفسير فلم أجد منها إلا التخبّط، ولا يتفق اثنان على معنًى أو هدف. وقد قال الكثير منهم أن هاروت وماروت مَلكين نزلا إلى الأرض، وقد أعجبتني تلك الفكرة والموضوع قائمٌ على تخيّلٍ شخصيٍ حتى لا أُتّهم بأني انسب شيئًا للقرآن. وإن كنت سأعتمد على الخلفية الإسلامية لكتابة المذكرات التي كتَبها الملاك ماروت والتي افترضت العثور عليها في مكانٍ ما في بابل الأثرية مكتوبةٌ بخط ماروت، وقد يرى الكثير من الإسلاميين أنّ هذا شطط، ولكني أقول إن الكثير من القصص داخل القران هي إسقاطاتٌ لخيال الشعوب وتراثها وخير دليلٍ علي كلامي مثلًا قصة آدم وحواء، أجدها هي أيضًا إسقاطًا على مرحلة الطفولة عندما ينمو الطفل في حضن أمّه (الجنّة). فعندما يولد الطفل (الخلق الأول) يجد كلّ شيءٍ متاحًا وموفرًا له بدون تعبٍ في حُضن أمّه لا يجوع ولا يعرى ولا يكدح ولا يشقى ولا يظمأ ولا يُضحّي وعندما يكبر هذا الطفل وينضج تبدأ المشاعر الجنسية تنمو داخله وينهاه أبواه عن الاقتراب منها (لَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ) خوفاً عليه، ولكن عندما تكتمل فترة طفولته يقطف من تلك الشجرة، وعندها تبدأ أعضاؤه الجنسية في البروز والظهور (فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا) ويعلم أنّ في تلك الشجرة سبب استمراره في الحياة وإنها (شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ) فبدونها يفنى الجنس البشري ويبلى مُلكه علي الأرض. وتتمنى الشعوب لو استمرت الطفولة بكل براءتها وحلاوتها ولم تقترب من الشجرة لأنّ عندها تبدأ المسؤولية ويترك الطفل أبويه ليبدأ تحمل المشاكل والصراع على لقمة العيش (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) سيودّع جنة الأم ويبدأ قسوة الحياة ويواجه أعداء كُثر، حيواناتٍ مفترسة، طامعين، حسّاد، غزاة، وكما نرى التشابه ليس صدفةً ولكن هي الشعوب تتخيل، وتتحول القصة إلى قصةٍ مقدسةٍ ثم إلى كلامٍ مقدسٍ ثم إلى كلام الله، وأنا هنا سأكتب ما أتخيل ما سيقوله الملاك في المذكرات المفترضة.

وليد

مذكرات ملاك هارب من الجنة

الصفحة الأولى:

يوم الاثنين:

قرّرت اليوم أن ابدأ كتابة مذكراتي، أحس بمللٍ شديدٍ فأنا أعمل كل يومٍ نفس الشيء، أجمع الصحف التي يأتي بها الملائكة الكرام الكاتبين الذين يُسجّلون أعمال الجن، كلّ جنيٍ له صحيفة سيئاتٍ وصحيفة حسنات، ثم أطابق ما كتبه الملاك مع ما هو مكتوبٌ في اللوح المحفوظ فإن كان مطابقًا حفظته حتى يُبعث الجنيُ يوم البعث، فيلقي كتابه منشورًا أمّا إذا كان غير مطابق، أعرضه على جبريل ليعرضه على الله ليحكم في الأمر.

الأربعاء:

ما هذا؟ أسمع كلامًا كثيرًا اليوم، لا أدري ماذا سيحدث لكن كبار الملائكة قد جمعهم الله لأمرٍ عظيمٍ واضطرابٍ كبيرٍ في نفوسهم، لكني سأحاول معرفة هذا الأمر.

الخميس:

لقد علمت أنّ الله جمع كبار الملائكة وأنه سوف يجعل مع الجن على الأرض كائنًا جديدًا اسمه الإنسان، لقد اعترض بعض القادة ولكنّ الله أسكت الجميع، لأنه الأقدر على اتخاذ القرار وإن كان بعض الملائكة الكبار لا يستطيعون فهم هذا الأمر فهم يرون أنهم لا يتأخرون في شيءٍ وينفذون جميع أوامر الله، لقد احتاروا كيف يُرضُونه، ألا يكفي أنّهم قبلوا هذا المتغطرس المدعو إبليس أن يشاركهم مجالسهم واجتماعاتهم كأنّه واحدٌ منهم. إن هذا الإبليس مراوغٌ ويستطيع إقناع الله دائمًا بكل ما يريد حتى أصبح ينافس جبريل روح الله.

الجمعة:

لقد خلق الله الإنسان، إنه يبدو غريبًا بعض الشيء، وإبليس يمرُّ عليه ليرمقه. إنّ هذا الكائن يبدو ضعيفًا صغيرًا حتى إنني أخاف أن أسحقه دون أن أدري.

السبت:

لقد جمع الله الملائكة مرةً أخرى، لماذا يا ترى؟ هل يريد مخلوقًا آخر؟ إن هذه المرة ستكون حاسمةً بعد فترةٍ طويلةٍ في نفس اليوم، لقد كان هذا أغرب يومٍ في حياتي، لقد غضب الله من إبليس، واجتمع الله بكبار الملائكة وطلب منهم السجود لآدم (اسم الإنسان الجديد) فأطاعوه إلاّ إبليس رأى أنّ هذا

وليد

مذكرات ملاك هارب من الجنة

المخلوق التافه الصغير لا يستحق أن يَسجد له ملاكٌ من عامة الملائكة أمثالي، فكيف بكبار الملائكة؟ وكيف به هو؟ إنني سعيد، فلا أدري لماذا كنت دائمًا لا أرتاح لإبليس هذا.

الأحد:

أصبت بخيبة أملٍ كبيرةٍ، لم يفعل الله شيئًا لإبليس، وها هو يتحرك كما يشاء، إن هذا الإبليس يعرف دائمًا كيف يُقنع الله بما يريد.

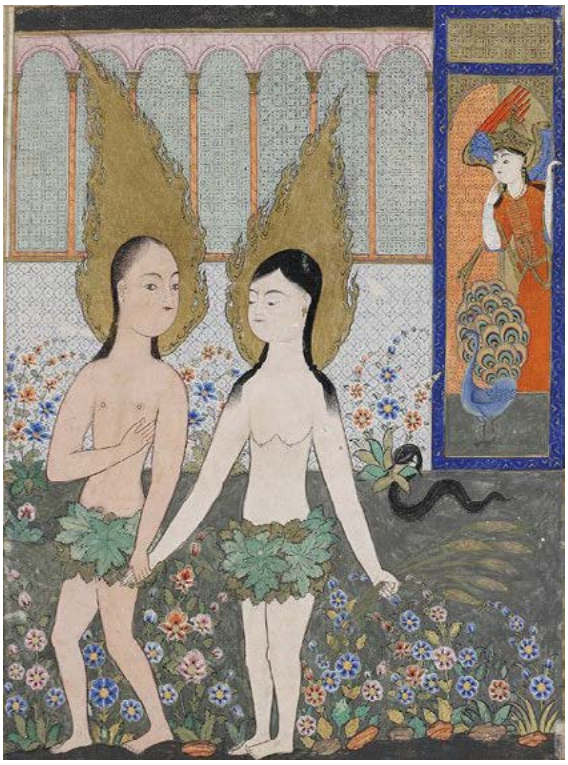

الثلاثاء:

خلق الله لآدم إنسانًا آخر في مثل حجمه كي يؤنسه، ووضعهم في الحاضنة، لكي يتعلّموا وتنضج أفكارهم، ولا زلت أرى إبليس يحوم حول آدم يرمقه بنظراته.

الأربعاء:

كما توقعت، لقد أغوى إبليس آدم بمخالفة أمر الله، لا ألوم آدم فهو مازال غيرَ ناضجٍ ولا يستطيع تمييز الخير من الشر، ولا أعرف لماذا ترك الله إبليس يدخل إلى حاضنة آدم ورفيقته حواء؟ إنّ آدم المسكين لا يعرف أيّ شيء، انه يبكي خائفًا من الله، أمّا هذا الإبليس فيبدو واثقًا من نفسه.

الجمعة:

لقد حكم الله علي آدم بالنزول إلى الأرض ليعيش فيها وحده، وكالعادة أقنع إبليس الله أن يتركه يسرح ويمرح في الأرض كي يستطيع أن يغوي آدم مرة اخرى. لا أدرى لماذا يقتنع الله بكلامه مرة ثالثة؟ إنّ هذا المسكين آدم لا يستطيع أن يجاري إبليس، إنّ إبليس هو السبب في كل هذا، لقد أصبح حُرًا طليقًا في الأرض يمرح كيف يشاء.

الاثنين:

مرحى، لقد جاءني تكليفٌ اليوم بالنزول للأرض لأصبح من الكرام الكاتبين للإنسان الجديد، إنها أفضل من عمليات التفريغ، سوف أجد كلَّ يومٍ شيءٌ جديد وأرى مكانًا جديدًا، وداعا للملل.

وليد

مذكرات ملاك هارب من الجنة

الصفحة الثانية:

الثلاثاء:

اليوم هو يوم النزول للأرض، لقد سمعت كثيرًا عنها، وأنا متأكدٌ أنّ العمل على الأرض أفضل من العمل الذي لا ينقطع في السماء، فأنا أحب المغامرة ولا أحب أن أعيش بقية عمري في روتينٍ لا يتغير. لقد تم تكليفي أنا وزميلي هاروت أن نسجل الأحداث لآدم وحواء، واليوم سوف أتسلم قرطاسي ودواة الحبر ومروحةً ورقيةً كي أجفف بها الحبر بعد الكتابة، سوف أسجل أعمال آدم وسوف يُسجل هاروت أعمال حواء.

الأربعاء:

ما أحلى الأرض، إن بها ليلٌ ونهار، إن السماء لا يوجد بها سوى نور الله فقط، أمّا هنا فالأمر مختلف، مشاعر جديدةٌ أشعر بها لأول مرة، شمسٌ، قمرٌ، حرٌ، بردٌ، نورٌ وظلام، جمالٌ وقبح، وغيرها، إنّ حلاوة أي شيءٍ لا تظهر إلا بوجود النقيض.

الجمعة:

آدم يمشي كالتائه ليبحث عن ماءٍ وطعام، إنه لا يعرف ماذا يأكل أو يشرب أو يعمل. إن إبليس يأتيه ويقول له ولكنه تعلّم الدرس، وأنا أشفق عليه، فهو لم يتعود على هذا الشقاء، لا أجد ما أكتبه في الصحيفة. إن كل ما يفعله آدم هو الاستكشاف، التقيت بصديقي هاروت وقال لي إن حواء أيضًا لا تعرف أي شيء، وتنظر لآدم وتقول له: وماذا بعد؟ لقد ملّت وملّ هو أيضًا.

السبت:

لقد حصل شيءٌ غريبٌ جدًا اليوم، لقد نظر آدم لحواء نظراتٍ غريبةً وهي نائمةٌ، إنّه يشعر مشاعر غريبةً نحوها، ولكنه لا يدري ماذا يفعل، جاءه إبليس وقال له: «اسمع كلامي، افعل كذا وكذا وسترى أنه شيٌ مسلٍ، وستشغل به نفسك وتجد متعة الحياة».

الأحد:

آدم في غاية الانبساط، لأول مرة لا يشعر أن إبليس يخدعه، لقد وجد متعةً جديدةً تشغله بدلًا من جني الثمار والخوف من الحيوانات، إنه ينظر لحواء كل مرةٍ ويكرر الموضوع. جلست مع هاروت لأسأله ماذا فعلَت حواء عندما استجابت

وليد

مذكرات ملاك هارب من الجنة

لنصيحة إبليس؟ فأجابني: إنها كانت خائفة، أما الآن فقد أصبح الأمر يشغلها كما يشغل آدم. شهرٌ مضى ولا جديد، آدم بدأ يفهم بعض الأشياء المفيدة، تعلّم كيف تكون حياته مستقرة، وحواء بدأت تحس أن بطنها تكبر شيئًا فشيئًا، وهي خائفة، لقد سجّل هاروت أول سيئةٍ ضدّ حواء اليوم.

الجمعة:

لقد قالت حواء لآدم: «إنك رجلٌ ليس له كلمةٌ ولا يستطيع أن يفعل شيئًا»، لقد كبرت بطنها وهي خائفةٌ من النتيجة. إنها تظن أن ما يحصل لها هو نتيجة سماع آدم لكلام إبليس، وأنّ الله سيجعل ما في بطنها يشبه الحيوانات.

الأحد:

حواء تتألم، وآدم يدعو ربه، فوعده ربه أن ما في بطن حواء طفلين على صورتيهما، ووعده خيرًا وطمأن حواء. بعد فترة... حواءٌ تستقبل طفليها، جاءت امرأة إبليس تساعدها، وقد أسميا أحدهما عبد الشيطان، لقد اسودت صحيفة آدم وحواء، إن أكبر خطأٍ لا يغفره الله هو الشرك به.

السبت:

آدم وحواء وإبليس أصبحوا لا يفترقون، وأصبحت أنا أكتب كثيرًا، لقد شكوت إلى الله أعمال آدم، فوعدني بإرسال من يعلّمه دينه مرةً أخرى، ولا أدري هل سيكون المرسَل أكثر إقناعًا من الله نفسه؟ لقد كلم الله آدم ولم يستجب له وها هو يشرك به، لا أفهم أحيانًا ماذا يريد الله من آدم، يخلقه ثم يغويه ثم يترك الشيطان يلعب بعقله؟ وهو مسكينٌ لا شيء أمامه سوى ما يراه بعينه.

الاثنين:

آدم يستغفر الله وقد أمرني الله بمسح الصحيفة السوداء له، أما حواء فلم يعلّق عليها، سمعت أنه سيجعل أكثر أهل النار على شاكلة حواء. هو حرٌ في خلقه.

الأربعاء:

إبليس جاء ومعه خروفٌ مشويٌ يأكله أمام آدم، وآدم لم يأكل سوى النباتات، وإبليس يحاول إغواءه بطعم اللحم.

وليد

مذكرات ملاك هارب من الجنة

الجمعة:

لقد استجابت حواء وقالت أنها ملّت من الفواكه والنباتات، وتريد أن تتذوق طعم اللحم، وقبلت هدية إبليس.

السبت:

آدم لا يحبُ العمل في هذا اليوم، يرى أنه يحتاج إلى الراحة، لقد أصبح الآن يأكل اللحم ويشعر بالإرهاق.

الأحد:

نزل ملاكٌ يعلّم آدم كيف يذبح ويسفك دماء الحيوانات الأخرى باسم الله. أهم شيء ألا يذكر اسم إبليس عند الطعام، وقال له إن بعض الحيوانات مثل الشجرة المحرمة لا تقربها.

الاثنين:

حواء مستاءة، وتقول: لماذا الله دائمًا يحرّم علينا الأشياء حتى في الأرض؟ إنّ ربك دائمًا مضيّقها علينا. آدم مسكين، لا يعرف من يُرضي، الله في ناحية يحرّم وحواء تطلب وإبليس يريه أشياء كلما جربها وجدها ممتعةً وجميلةً لكنها تغضب الله، وأنا أكتب وأكتب، لقد كتبت اليوم ثلاث سيئات: نام آدم ووجد النوم جميلًا ونسي أن يصلي. أكل آدم كثيرًا من الأرانب وقد أمره الله بأن لا يشبع. سار إلى أرضٍ جديدةٍ وبحث عن أصنافٍ جديدةٍ من الطعام، والله أمره ألا يطمع، إنه يكتشف كل يومٍ شيئًا جديدًا، وكلّ يومٍ مُتعًا جديدة.

الصفحة الثالثة:

السبت:

مرّت سنين كثيرة لا أستطيع أن أعدّها، لقد تطوّرت الحياة على الأرض، مات آدم وجاء أولاده وأحفاده وتطوّرت حياتهم كثيرًا. لقد كان إبليس دائمًا هو السبب في تطور البشر. إنّ أعظم المكتشفات جاءت من الحروب والأطماع، وجدتُ أن الإنسان المسالم يرضى بالقليل، ولا يطمع بما في يد غيره، لا يتقدم، ولا يضيف إلى البشرية شيء، هل أرسل الله إبليس إلى الأرض حتى يحفّز أهلها إلى التقدم؟ هل سيحاسبهم الله فعلاً على سماعهم كلام إبليس، أم هي خطةٌ ربانيةٌ لإعمار الأرض؟

الأحد:

لقد تمّ تكليفي بكتابة أعمال شخصٍ جديدٍ اسمه سليمان، ولقد أتمّ اليوم بلوغه السن الذي يستوجب كتابة أعماله. لقد قال لي هاروت أنه ابن نبي

وليد

مذكرات ملاك هارب من الجنة

الله داوود لكنه لم يخبرني الكثير عن داوود، يبدو أني سأكتشف بنفسي.

الجمعة:

سليمان شابٌ مرفهٌ ولكن يتسم بالحكمة، وإن كان يميل إلى المتع البشرية كثيرًا. إنه كثير التيه والزهو بنفسه، مغرمٌ بالنساء والخيل وهو في هذا لا يختلف عن بقية الرجال ولكنه شديد الثقة بنفسه ويثير هذا حقد أخيه الأكبر الذي يطمع في ملك والده.

الاثنين:

مات داوود، اليوم يتصارع سليمان مع أخيه على من يخلف داوود في الحكم والنبوة، لقد كان داوود يرى أن سليمان أولى ولكن أخوه لا يرضى بهذا. إن إبليس قد جاء خصيصًا، إنه يراها فرصةً جديدةً لدمٍ جديد. إن إراقة دماء البشر هي قربانه لله.

الثلاثاء:

لا أدري من انتصر سليمان أم إبليس؟ لكن لقد قُتل الكثير ومات الكثير. لماذا يتقاتل الجميع باسم الله؟ لماذا يترك الله البشر يتقاتلون باسمه؟ هل المشكلة أن البشر لا يسمعون كلام الله؟ أم أن الله لا يريد هذا؟ ألا يوجد شيءٌ يتوحد عليه البشر؟ يقول سليمان لو أراد الله السلام للعالم لخلق له خلقًا غير البشر، لكن هكذا أراد الله الأرض فجاء البشر. استقرت الدنيا لسليمان. ما أسعد بني إسرائيل، نبيّان متتاليان من الله لهما وبقية العالم بلا أنبياء. إنّ الله يحب أولاد إسرائيل ويحرص على إرسال الأنبياء لهم.

الأحد: اليوم هو يوم عرض الخيل، سليمان يحب الخيل المسومة كثيرًا. إن له ألف جوادٍ وتسعين زوجة، لا أدري كيف يكون زاهدًا عابدًا وملكًا مرفهًا في نفس الوقت! لقد كتبت العديد من السيئات لسليمان ولكنّي أصبحت لا أرى لهذا ضرورةً فهو كثير الاستغفار وامسح سيئاته دائمًا. لقد انشغل بالعرض عن ذكر الله ثم تاب وقتل الخيل تكفيرًا عن ذنبه، مسكينةٌ الخيل، دفعت حياتها ثمنًا لعفو الله عن سليمان. إنها الدماء مرةً أخرى، ألا ترتوي الأرض أبدًا.

الخميس:

طاف سليمان على زوجاته ونسي الله فأعطاه طفلًا مسخًا ألقاه على كرسيه. إن سليمان يعشق الحياة إنه يستغفر فيغفر الله له، لقد مللت، لقد أعطاه الله مُلكًا جديدًا؛ الرياح والجن والحيوانات والخاتم الذي يفعل كل شيء. لقد مللت كتابة أعمال البشر، أريد أن اشعر بما يشعر به سليمان. أريد أن يغفر الله لي كلما دعوتُه، لماذا لا أكون مثل سليمان؟

وليد

مذكرات ملاك هارب من الجنة

الجمعة:

هاروت استغرب من كلامي ثم عاد وقال إنها فكرةٌ غريبة ولكنها تستهويه هو أيضًا، لقد أعجبته حياة الناس في بابل إنها بلدةٌ جميلة وبها متعٌ كثيرة للبشر. أريد أن أخطأ ثم أتوب، ويريد هاروت أن يحسّ بالجمال كما يريد البابليون الإحساس به.

الأحد:

استدعاني جبريل، لقد علم الله ما في نفوسنا وأعجبته فكرتنا. إنه يريد أن يعرف الجميع قدرته ورحمته وعدله. لقد حدّد لنا الجمعة القادمة لنتحول إلى بشر، ولكنّه حذرنا من النهاية ومن إبليس. إن إبليس لن يتركنا. لقد أضاف إلى البشر ملاكين ولكني أعرف ألاعيبه سأكون ذكرًا وهاروت امرأة، لن نكون آدم وحواء ساذجين مرةً أخرى. نحن نعلم أن سرّ الحياة ذكرٌ وأنثىٌ، وكي تموت الحياة فرّق بين الذكر والأنثى. مفاتيح الأرض في يدي، لقد تعلمت من البشر كيف يفكرون وماذا يريدون. إنهم يريدون كل شيءٍ في يد غيرهم وفي سبيل ذلك قربان إبليس إلى الله الدماء التي لن تتوقف. لا أستطيع الصبر حتى الجمعة.

الصفحة الرابعة:

الثلاثاء:

إن الحياة كبشرٍ صعبةٌ جدًا لم أكن اعرف تلك الأحاسيس. الجوع، العطش، الرغبة، التعب، الغرور، حب السلطة والمال. لقد كانت حياتي كملاكٍ بلا أحاسيس ولكنها كانت بدون مشاكل أيضًا.

الأربعاء:

هاروت يطلب مني أن أجد وسيلةً لكسب العيش وإلا سنموت جوعًا، يقول إنها فكرتي وأن الله تركنا ليعرف الجميع حكمته في توزيع الأدوار بين ملاكٍ وإنسانٍ وجن.

الخميس:

وليد

مذكرات ملاك هارب من الجنة

إني بارعٌ في السحر سأقوم أنا وهاروت بعمل تلك الأشياء التي تجعل البشر يندهشون. إنّ وجود إبليس سيكون هو سبيلي إلى الحياة. عندما يكره البشر بعضهم سيحتاجونني، سأفرق بين المرأة وزوجها والحبيب وحبيبته. إن هذا هو أسهل طريقٍ يرضي البشر، لو أرادهم الله غير ذلك لخلقهم، لقد كان سليمان على حق.

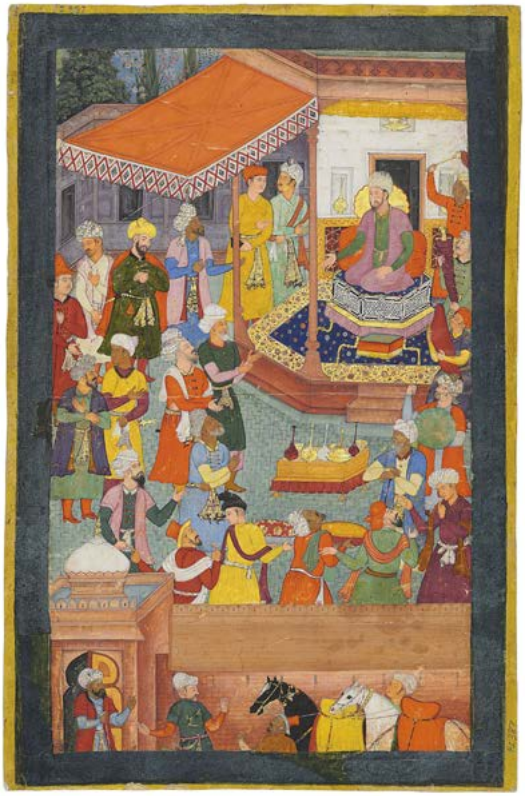

الأربعاء:

لقد أصبحت أغنى من في بابل، إنّ الإنسان لا يحب الخير إلا لنفسه، إبليس لا يفعل شيئًا سوى أن يذكّر الإنسان بما كان ينوي أن يفعل في وقتٍ سابق. دور إبليس هو دورٌ تافه، الله هو من أراد بشرًا تحب الغواية، لقد زيّن لهم حب الشهوات والنساء والذهب والخيل، حتى الأنبياء لم يسلموا من مكر الله.

السبت:

مات هاروت، إن البشر يموتون، وأنا كذلك سأموت، لا أدري ما هذا الموت، عندما كنت ملاكًا لم أفكر به أبدًا، فالملائكة لا تموت كالبشر، لا أريد أن أموت، إنّ الموت يجعل كل شيءٍ في الحياة بلا طعم، ما فائدة التعب والجد إذا كنا سنموت ونترك ما زرعنا ليحصد غيرنا؟ إنّ هذا يصيبني بالإحباط.

الأحد:

إنّ أهل بابل لا يؤمنون بالله وهو لا يفعل لهم شيئًا، لم يرسل لهم أحدًا ليؤمنوا به. ماذا يريد الله من البابليين؟ هل سيُدخلهم الجنة؟ أم سيميتهم وكفى؟ إبليس لا يفعل أي شيءٍ هنا، إن البابليون أسوأ من إبليس نفسه. لكنهم كلهم خلق الله.

الأربعاء:

إن الأرض تسير من سيءٍ إلى أسوأ، لم أرَ سوى الدماء على الأرض، لا يحب أحدٌ أحدًا، كل من عليها يبحث عن شيءٍ لا أعلمه. ماذا يريد الإنسان؟ هل يريد حبًا وسلامًا؟ أم يريد قتلًا واغتصابًا؟ هل كل البشر هكذا؟ هل كل الأرض مثل البابليين يتقاتلون، يسرقون ويسكرون؟ ألا يشبعون من الحياة؟ هل هذه سمة البشر؟ هل هكذا أراد الله البشر؟ يبدو لي كذلك.

رسومات دينية ساخرة

غير مناسبة لذوي المشاعر الدينية المرهفة

www.facebook.com/M-80-II-941772382615672

كاريكاتور

Topason Samuel

الله كان تشاك نوريس أيام شبابه!

نضال الخطيب

يجب على الله أن ينزل أية بأسرع وقت ممكن تبيح تبليغ على صفحات وحسابات الملحدين وتشتمهم ايضا كما فعل مع أبي لهب

Raidan Yemen

وما على الرسول إلا «البلاغ»
القران يسبق التطبيقات الحديثة

محمد خليل

الله كان هرقل قبل اختراع الكاميرات اما الآن لا حس ولاخبر

مجلة الملحدين العرب

مجلة شهرية بجهود فردية تصدر في الثاني عشر من كل شهر

The Arab Atheists Magazine is a digital publication produced by volunteers and committed to promoting the thought and writings of atheists of various persuasions with complete freedom. The Magazine does not adopt or endorse any form of political ideology or affiliation.

Contributors bear the full responsibility of the content, illustrations and topics they provide insofar as it covers copyright and issues of intellectual property.

Express permission to publish in the Magazine is provided by contributors, whether they are members of the Arab Atheists Magazine Group or of other atheists and non-religious contributors.

The Magazine does not publish material that is unethical or that incites racism or bigotry.

The Editorial Board reserves the right to republish content originally published on the Magazine's Facebook group, as publishing there implicitly contains consent for republication in the Magazine.

موقع المدونة الخاصة بنا للأرشفة على الإنترنت:
www.aamagazine.blogspot.com
البريد الإلكتروني
el7ad.organisation@gmail.com

ARAB ATHEIST BROADCASTING
قناة الملحدين بالعربي